مقلوب

مقلـــوب

روايـــــة

محمـود شـــوقـي

مقلـــــوب

اسم الكاتب: محمـود شـوقـي
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف:
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى
رقم الإيداع: 2018 / 23734

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

01030365801

جميع الحقوق محفوظة

إهداء خاص

إلى أختي الحبيبة التي شجعتني على الكتابة والنشر
إلى أمي
إلى أبي
إلى أدباء مصر العظماء
إلى الراحل القدير يوسف السباعي
والراحل القدير أنيس منصور
والراحل القدير نهاد شريف رائد الخيال العلمي المصري
وإلى أستاذي الذي لم أره مطلقًا الدكتور نبيل فاروق
وآخرين وآخرين وآخرين
إليهم جميعًا أهدي لهم روايتي الأولى

مقدمة لابد منها

هذه رواية خيالية بها شيء من الواقع
ولكنها ليست الواقع
فأي تشابه بينها وبين الواقع في الأحداث أو في الشخصيات
هو محض مصادفة غير مقصودة

(١)

انطلق وزير الدفاع مخترقًا طُرقات القصر الجمهوري، وهو غارق في خواطره تمامًا حتى أنه لم يُلق بالًا لكُل من يُؤدي له التحية العسكرية، إلى أن وصل إلى الحجرة الملحقة بمكتب رئيس الجمهورية، فولجها مسرعًا متجهًا إلى مكتب الرئيس متجاهلًا سكرتير الرئيس الذي هب واقفًا لاستقباله إلا أنه دلف مسرعًا حيث مكتب رئيس الجمهورية متجاهلاً نظرات كبير الياوران، ثم إنه قال وهو يزفر في قوة:

- سيدي الرئيس، لقد تمت المهمة كما أمرت تمامًا.

تطلع إليه رئيس الجمهورية، وهو يشير له بالجلوس، وقال متسائلًا:

-ماذا فعلتم بالضبط؟ فلتشرح لي كل شيءٍ بالتفصيل.

نزع وزير الدفاع الكاب الخاص به، ووضعه على المنضدة الصغيرة أمامه، وأسند مرفقه الأيمن على مكتب الرئيس، ونظر إليه وعلى وجهِهِ علامات الأسف والقليل من الحزن وقال بنبرة آسفة:

-لقد قمنا بمحاصرة الميدان، وأغلقنا كل مداخله ومخارجه تمامًا، كما أغلقنا جميع مداخل ومخارج مترو الأنفاق، ومنعنا وكالات الأنباء والمراسلين ومحطات التلفاز والإذاعة من الدخول، أو حتى التواجد في محيط ثلاثة كيلومترات من الميدان.

سكت الوزير ليسترد أنفاسه، ثم أشار إلى كبير الياوران بيده ليطلب كوبًا من الماء، فيسرع كبير الياوران بطلبه من سكرتير الرئيس من الحجرة الخارجية، ليعود ويستمع إلى وزير الدفاع الذي أكمل حديثه قائلًا:

- ثم قطعنا إشارات المحمول، وكذلك خطوط الهاتف الأرضية، وقمنا بالتشويش على المنطقة كلها، حتى لا يتم استخدام الهواتف المتصلة بالأقمار الصناعية.

طُرق الباب في هذه اللحظة، ثم دخل (الخادم) بعدما سمع الإذن له بالدخول حاملًا زجاجة مياه محلية الصنع، وكوبًا من البللور اللامع، فأشار إليه كبير الياوران بوضعهما أمام وزير الدفاع، وبالفعل وضع الكوب البللوري أمام الوزير، ثم أفرغ فيه من مياه الزجاجة ووضعها على المنضدة الصغيرة وانصرف، فالتقط وزير الدفاع كوب الماء بنهم، وجرعه دفعةً واحدة ثم وضعه على المنضدة وهو يكمل حديثه قائلًا:

- ثم أرسلت بعضًا من رجالي للاندساس وسط المتظاهرين، لتثبيط همتهم، ومحاولة زعزعة تماسكهم، خاصة بعد خطابكم الليلة السابقة، والذي تأثر به الكثير من أبناء الشعب في منازلهم، وكذلك في الميدان.

صمت الوزير مرة أخرى لكي يلتقط أنفاسه، وتطلع إليه كبير الياوران متعجلًا سماع باقي الحوار، في حين أشار الرئيس برأسه لوزير الدفاع لكي يُكمل حديثه، فقال الوزير:

. ولكن كما تعلم سيدي الرئيس، فإن وجود أعضاء الجماعة في الميدان، جعل كل أحاديثنا تذهب هباءً، فقد كانوا يشعلون الفتن بين الشباب ويشككون في كل كلمة تخللت حديثكم التليفزيوني، مما زاد الناس هياجًا في الميدان، وانطلق جمعٌ غفيرٌ منهم بالفعل باتجاه وزارة الداخلية، وانطلق آخرون نحو مجلس الشعب.

توقف وزير الدفاع عن الحديث، وهو يتطلع إلى رئيس الجمهورية بنظرات متسائلة منتظرًا منه اتخاذ القرار.

شرد رئيس الجمهورية وهو يتطلع إلى سقف الحجرة قليلًا، ثم نظر إلى وزير الدفاع متسائلًا:

.كم عدد المتواجدين في الميدان الآن؟

أجابه الوزير في أسى:

.عددٌ كبيرٌ جدًا يا سيدي الرئيس، لا يقلون عن نصف المليون، بل قد يزيدون قليلًا.

أومأ رئيس الجمهورية برأسه متفهمًا وهو يقول:

.وأنت تطلب مني الآن قرارًا بكيفية التعامل معهم، أليس كذلك؟

أومأ وزير الدفاع برأسه أن نعم وقال:

. أرجوا اتخاذ القرار سريعًا الآن يا سيدي؛ فالهجوم بات وشيكًا على وزارة الداخلية ومجلس الشعب، ولا يمكن أن ندع أيًا منهما يسقط في أيدى المتظاهرين.

تطلع رئيس الجمهورية إلى وزير الدفاع، ثم إلى كبير الياوران وقام بإغلاق عينيه قليلًا، ثم أسند ظهره إلى مقعده، وشبك أصابعه وهو يفرد يديه على امتدادهما ليضعهما فوق المكتب، وقال بصوتٍ خالٍ من أي تعبير:

.حسنًا لا بديل عن ذلك إذن.

وصمت لحظات قبل أن يقول بحزم وحسم:

- نفذ الخطة (ألف).

تطلع إليه وزير الدفاع مشدوهًا، وكذلك فعل كبير الياوران، والذي فغر فاه قبل أن يقول في حدة:

. سيدى الرئيس، ولكنك تعلم أن الخطة (ألف) هى آخر ما يمكن استخدامه أصلًا، فنتائجها ستكون وخيمة على الجميع.

أشار إليه رئيس الجمهورية أن كُف عن قولك هذا، وقال لوزير الدفاع بصرامة:

. نفذ الخطة فورًا، وأي قصور أو تهاون في تنفيذها سوف أعاقبك عليه شخصيًا.

التقط وزير الدفاع الكاب الخاص به ووضعه على رأسه، ثم هب واقفًا بانتباه شديد، وهو يؤدي التحية العسكرية لرئيس الجمهورية ويقول:

. أمرك سيدي الرئيس سيتم تنفيذها في الحال.

قالها ثم استدار على عقبيه، مغادرًا مكتب رئيس الجمهورية، تاركًا الباب خلفه مفتوحًا، ثم أخرج جهازًا صغيرًا يشبه أجهزة اللاسلكي، وقام بالضغط على أحد أزراره، وأدناه من شفتيه قائلًا بصوتٍ أسمع الجميع، بمن فيهم الرئيس وكبير الياوران ومتطلعًا إلي سكرتير الرئيس:

. فليتم تنفيذ الخطة (ألف) فورًا.

ثم أغلق الجهاز، وقد ارتسمت على ملامحه أعتى مظاهر الألم واليأس، في حين نظر إليه سكرتير الرئيس وقد بدت على ملامحه أمارات الغضب والرعب.

(٢)

توجه بنظراته ناحية أحد المباني التي تطل على الميدان، وراح يناضل من أجل الوصول إليه، من خلال اختراق الزحام الشديد والذي بدا من المستحيل أن يستطيع اختراقه.

كان شابًا وسيمًا أسود الشعر، طويل القامة، شديد الأناقة، حليق الوجه، تبدو على ملامحه علامات الذكاء الشديد والصلابة، وحول نظره إلى ساعة يده للمرة الألف ليجد أنه يحاول اختراق الميدان منذ أكثر من ساعةٍ كاملة ولكنه بالكاد وصل إلى منتصفه. إن انقطاع الاتصالات كلها هو ما حدا به إلى محاولة الوصول إلى ذلك المبنى مهما كلفه الأمر. فلقد أحاط الجيش بمعداته الثقيلة الميدان بالكامل من كل اتجاه وكذلك قام بقطع وسائل الاتصال كلها حتى الإذاعة والتليفزيون تم قطع إرسالهما، وعندما حاول الاتصال بجهازه المتصل بالأقمار الصناعية لم يحصل على شيء. أي أنهم قد قاموا بالتشويش الكامل على الميدان. وعندما حاول اختراق الأنفاق وجدها كلها موصدة. اضطربت الأفكار في رأسه لماذا يحدث هذا؟ هل من الممكن حقا أن يحدث ما يفكر فيه؟ هل من الممكن حقا أن تقوم قوات الجيش بعمل هذا الفعل الشنيع؟ هو لا يتخيل أن يحدث هذا بالفعل ولكن للأسف كل الشواهد تؤكد هذا. إن ما يحدث لا ينبئ إلا بشئ واحد فقط. أن قوات الجيش سوف تقوم بعمل إبادة جماعية لكل من في الميدان ولذا لابد له من الوصول الى المقر

الخاص بجماعته في أسرع وقت للتفكير في خطة ما لمنع الجيش من تنفيذ ما يخطط له.

وتمتم بصوتٍ خافت:

- لقد كان من حسن حظنا أن اتفقنا على أن نقوم بالتوجه إلى المقر الخاص في الميدان إذا تم قطع الاتصالات حتى نستطيع أن نستعد لأي طارئ.

هز رأسه ثم تطلع مرة أخرى إلى المبنى الذي اقترب منه كثيرًا وراح يحث الخُطى وهو يصطدم بهذا ويدفع ذلك حتى وصل إلى المبنى فدلف إليه مسرعًا بعدما تخطى الإجراءات الأمنية المتبعة بالرغم من معرفة رجال الحراسة لشخصيته ثم انطلق يعدو صاعدًا درجات السلم إلى الطابق الثاني ليجد جمعًا غفيرًا من جماعته وقد وصلوا ودلفوا لداخل المقر وظل الكثير منهم يقفون في الخارج لازدحام المكان. ولكنه لم يلق بالًا لأيٍ منهم بل توجه إلى الداخل سريعًا ثم دلف إلى حيث حجرة الاجتماعات ووجد أنه آخر الواصلين من أعضاء اللجنة العليا للجماعة فانطلق إلى حيث مقعده واستقر عليه وهو يقول من بين أنفاسه المتلاحقة:

- إخواني الأعزاء. لا وقت لدينا الآن، لابد من التحرك السريع، إنهم فيما أعتقد يعدون لعمل إبادة جماعية لكل من في الميدان كل الظواهر تشير إلى ذلك، ولذا فعلينا التحرك بسرعة لفك الحصار عن الميدان ومحاولة الخروج منه بأي شكل وأي ثمن.

حك أحد الجالسين مؤخرة رأسه بأظفاره وهو يقول ساخطًا:

- ولكن كيف؟ وماذا سنفعل؟ أنت تعلم أن أسلحتنا كلها كانت ستأتي في الليل وما معنا من سلاح خفيف لن يجدي شيئا أمام أسلحة الجيش الثقيلة والتي لا تعد ولا تحصى.

نظر إليه ذلك الشاب الوسيم والذي وصل متأخرًا وقال باسمًا:

- بل سنفعل الكثير يا سيدي فإن لدي خطة جيدة، لو تم تنفيذها بدقة، فسوف نقوم بالخروج من الميدان بدون أي خسارةٍ أصلًا.

نظر إليه الجميع متسائلين في دهشة قبل أن يقول أحدهم:

- وكيف سنفعل ذلك؟ وكيف سنقوم بإخراج أكثر من نصف مليون من المتظاهرين المتكدسين في الميدان والشوارع المحيطة به؟

ابتسم الشاب الوسيم ابتسامة جانبية صغيرة قبل أن يقول هازئًا:

- ومن تحدث عن نصف المليون، أنا أتحدث عنا نحن وعن أعضاء جماعتنا. أنا سأستخدم المتظاهرين في خطتنا ولكن لن يخرج من الميدان سوانا نحن وعددٍ قليلٍ ممن سيتبعنا قبل أن يقوم الجيش بإعادة الحصار مرة أخرى.

نظر إليه أكبر الجالسين سنًا وهو رجلٌ وقورٌ ذو لحيةٍ قصيرةٍ بيضاء تمامًا وأشار بيديه بلهجةٍ متسائلةٍ قائلًا:

- وكيف ذلك يا ولدي؟ وكيف سنترك كل هذا العدد من المتظاهرين خلفنا؟

ابتسم الشاب الوسيم مرة أخرى ثم هب واقفًا من مقعده وقال شارحًا مستخدماً كلتا يديه:

- نحن لن نستطيع محاربة الجيش بما معنا من عدة مسدسات لا تتجاوز العشرين، ولكننا سنقوم بإرسال أفراد من جماعتنا لتهييج المتظاهرين في عدة محاور من الميدان لتشتيت الانتباه ثم نقوم بإرسال عددٍ آخر من جماعتنا إلى جهتين أُخريين يقودون عددًا كبيرًا من شباب الميدان إلى وزارة الداخلية ومجلس الشعب لإظهار محاولة اقتحامهما والسيطرة عليهما مما يجعل قوات الجيش تحشد كمًا أكبر من قواتها لحماية المبنيين وهى لن تنتظر حتى تصل إليها الإمدادات ولذا فسوف تسحب بعضًا من معداتها وقواتها لحماية الوزارة والمجلس، وسوف نستغل نحن هذا في الخروج من الميدان حيث إنهم لن يتركوا سوى بعض من الجنود والضباط الذين نستطيع التعامل معهم بما معنا من سلاح ثم الاستيلاء على أسلحتهم والفرار من الميدان.

ابتسم الوقور واتسعت ابتسامته حتى أصبحت ضحكةً كبيرةً قبل أن يقول وهو يشير بسبابته إلى الشاب الوسيم:

- نشكر الرب على وجودك معنا، وإلا لكان الله في عوننا بالفعل.

ثم سكت قليلًا قبل أن يقول مستطردًا:

- هيا قم بتنفيذ خُطتك بأقصى سرعة ولتكن أنت معنا في المكان الرئيسي للتنفيذ.

وابتسم الشاب الوسيم وهو يتجه إلى خارج حجرة الاجتماعات، ابتسامة شيطانية.

(٣)

تجمع عددٌ من الشباب والفتيات ومعهم رجلان وسيدة في أواخر الخمسينيات من العمر في إحدى الخيام المنتشرة في الميدان، والتفوا بمقاعدهم حول منضدة كبيرة مكونة من عدد من المناضد الصغيرة متراصة بجوار بعضها البعض. وقال أحد الشباب موجهًا حديثه إلى أحد الرجلين والذي كان يرتدي حُلةً كاملة سوداء اللون ذات رباط عنق زهري اللون وقميصًا ذا لونٍ سماوي:

- أيها الأخ الأكبر لقد قمنا جميعًا بتنفيذ كل التعليمات التى أمرتنا بها بكل دقة، ونحن الآن في انتظار آخر رفيقة لنا لكي تكتمل الخطة كلها وننتظر منك إشارة البدء في التنفيذ.

نظر إليه الأخ الأكبر وقبل أن يُعلق على حديثه اندفعت إحدى الفتيات إلى داخل الخيمة لتصطدم بأحد الجالسين فيلتقطها قبل أن تهوي على الأرض، ثم قام ليجلسها فى مقعده وهى تحاول جاهدة التقاط أنفاسها والتحدث في نفس الوقت لتخرج كلماتها مبتورة غير مفهومة قبل أن يشير إليها الأخ الأكبر بالسكوت والتقاط أنفاسها فقط.

مرت دقيقة كاملة مضت في سكونٍ تام لا يقطعه سوى صوت أنفاسها المتهدج قبل أن تهدأ وتقول بصوتٍ مرتعب:

- أيها الأخ الأكبر، هناك كارثة كبيرة ستحدث في القريب.

نظر إليها الجميع متسائلين قبل أن يسألها الأخ الأكبر بهدوء:

- عن أي كارثةٍ تتحدثين؟

ازدادت حدة صوتها وهى تقول:

- الشرطة قامت بحصار الميدان بالكامل، ولا توجد وسيلة اتصال واحدة تعمل، ويبدو أنهم سيقومون بعمل كارثة كبيرة نكون نحن جميعا ضحيةً لها.

أطرق الأخ الأكبر برأسه مفكرًا للحظات، والجميع يتطلع إليه في صمت، قبل أن يقطع هو الصمت قائلًا وهو يترك مقعده واقفًا:

- حسناً يا رفاق، يبدو أن ساعة الصفر قد حانت.

نظر إليه الجميع في تحفز للانطلاق لتنفيذ الخطة التى أُعدت بالكامل لولا صوت الفتاة والذي خرج منها محبطًا يائسًا وهى تقول:

- وكيف ذلك أيها الأخ الأكبر، ألم تسمع ما قلته أنا حالًا. لقد انقطعت الاتصالات تمامًا في الميدان.

ألجم حديثها الجميع، في حين انهار الأخ الأكبر جالسًا على مقعده مرةً أخرى وهو يقول بأسى:

- ياللهول. لقد فشلت خُطتنا تمامًا قبل أن تبدأ، إنها لمأساةٌ كبرى لا حل لها.

لف الصمت الجميع مرةً أخرى وهم يحاولون إيجاد أي مخرج لتنفيذ خطتهم، والفتاة تقول بصوتٍ باكٍ:

- فلترحمنا السماء.

وسقطت مغشيًا عليها وسط ذهول الجميع.

(٤)

انطلقت سيارة رياضية حمراء اللون، مكشوفة السقف، تشق طريقها بسرعة تتخطى المائة والستين كيلومترًا في الساعة الواحدة على الطريق الدائري المحيط بالعاصمة والذي كان خاليًا تقريبًا بسبب المظاهرات التي تعم أرجاء الميادين الرئيسية في كل الأنحاء.

كان يقودها شابٌ في أواخر العقد الثالث من عمره، أشقر الشعر، أزرق العينين، وسيم الملامح بالرغم من أنفه المعقوف والشبيه بمنقار الصقر.

وبدا قائد السيارة متحفزًا متجهم الوجه وهو يمسك بمقود القيادة بكلتا يديه ناظرًا إلى الطريق أمامه وهو يبتعد عن العاصمة شيئًا فشيئًا، حتى إذا ما ابتعد عن العاصمة وظهرت الصحراء أمام عينيه، تنفس الصعداء، وظهر الارتياح على وجهه للمرة الأولى، وقاد سيارته للخروج من الطريق الدائري من مخرج جانبي، وبعد نهاية المخرج بحوالي عشرة كيلومترات ظهرت بوابة مزرعة تحتل مساحةً كبيرة، ما إن وصل إلى بوابتها حتى فتحت تلقائيًا، وانطلق بسيارته تحوطه الأشجار من الجانبين، حتى وصل إلى مبنى القصر بداخل المزرعة، وترجل من سيارته أمام الباب الخارجي للقصر.

دلف إلى داخل القصر ليجد في انتظاره ثلاثة أشخاص، رجل وفتاتين، كان الرجل في منتصف العقد السادس، أشيب الشعر، قصير القامة، يضع على عينيه عوينات، ويرتدي ثيابًا بسيطة، في حين كانت الفتاتان في أوائل العشرينات من عمريهما، إحداهما طويلة القامة، فاتنة الملامح، ذات شعرٍ بنيٍ، وعيون

خضراء،وبشرةٍ بيضاء ناصعة، ترتدي ثوبًا قصيرًا لا يكاد يصل إلى منتصف فخذيها، مكشوف الصدروعاري الظهر حتى وسطها، في حين كانت الفتاة الأخرى متوسطة القامة، قمحية اللون، ترتدي زيًا طويلًا يصل إلى كعبيها وله فتحة ترتفع إلى ما فوق الركبتين، ذات شعرٍ أسود، وعيون رمادية اللون، كان ثلاثتهم ينتظرونه على أحر من الجمر، وما إن شاهدوه حتى قال الرجل الجالس وسط الفتاتين بلغة شرقية:

- ما الأخبار؟ كيف تسير الأمور؟

ابتسم الشاب وهو يجلس واضعًا ساقًا فوق الأخرى ويقول:

- كل شيء تمام. لقد سارت الخطط التي وضعت كما نريد بالضبط.

نظرت إليه الفتاة طويلة القامة وقالت في توسل:

- قُص علينا ماحدث بالتفصيل رجاءً.

نظر إليها الشاب مبتسماً واستطرد:

- لقد أحكم الجيش قبضته على الميدان تمامًا. لن تستطيع نملةٌ واحدةٌ الدخول أو الخروج من الميدان. كما قام الجيش بإخلاء المنطقة حول الميدان بقطر ثلاثة كيلومترات تمامًا من أي كائنٍ حي أو سيارة أو أي شيء.

توقف قليلًا ليلتقط أنفاسه ثم أردف قائلًا:

- كما أخبرتني مصادري أنه قد تم قطع الاتصالات عن الميدان والمنطقة المحيطة تمامًا حتى هواتف الأقمار الصناعية تم التشويش عليها. ولقد حاولت بالفعل الاتصال بأي فردٍ من رجالنا في الميدان ولكني لم أستطع بالفعل .

تطلعت إليه الفتاة الثانية وهي تُغلق عينيها قليلًا وقالت :

- وماذا بعد ذلك؟

نظر إليها الشاب في جدية وقال:

- نحن ننتظر الخطوة الأخيرة، التى لو تحققت لنجحت خُطتنا واستطعنا الفوز بكل شيء.

أشار إليه الرجل بيديه متسائلًا:

- ومتى سنعرف هل سيتحقق الجزء الأخير بالفعل أم لا؟

تنهد الشاب بعمق وقال:

- أنا في انتظار رسالة مهمة، لو أتت فهذا يعنى أن الخطوة الأولى من النهاية قد بدأت.

ما إن انتهى من آخر حرفٍ من جملته، حتى انطلق هاتفه الخاص معلنًا وصول رسالة، فأسرع الشاب بفتح الرسالة وإذ به يضحك بصوتٍ عالٍ فرحًا بعد أن قرأها وقال مستبشرًا:

- لقد بدأت النهاية بالفعل.

وتطلع إلى وجوه أصدقائه الثلاثة قائلًا وهو يضغط على حروف كلماته:

- لقد وصل وزير الدفاع إلى القصر الجمهوري بالفعل.

تنهد الجميع بارتياح وانطلقت ضحكاتهم عاليًا ثم قامت الفتاة طويلة القامة وأحضرت مشروبًا كحوليًا وعددًا من الأكواب وقالت باسمة:

- فلنحتفل ببداية النهاية وانتصارنا الساحق بالفعل.

تناول الجميع مشروباتهم وسط فرحة غامرة، قطعتها الفتاة الأخرى قائلة فى تساؤل:

- هل يمكن أن نعرف الآن ما هو الجزء الأخير من الخطة ؟ إننا حتى لا نعرف ما المفروض أن يتم بعد تنفيذ الخطوة الأخيرة؟

نظر إليها الشاب، وارتشف آخر ما تبقى في كأسه دفعةً واحدة، ثم نحاه جانبًا وهو يقول:

- نعم سأخبركم الآن ما هى خطواتنا النهائية.

نظر إليهم فرأى التوتر وقد علا ملامحهم جميعًا فأكمل حديثه قائلًا في جدية:

- إذا اتخذ الرئيس والجيش الخطوة الأخيرة، وقاموا بالفعل بإتخاذ قرار تفجير الميدان بمن فيه للقضاء على الثورة وإعلان الأحكام العرفية، فسوف نقوم بتنفيذ الخطة التى قام الرؤساء بوضعها وتخطيطها جيدًا.

قالت الفتاة متسائلة بحدة:

- وما هى هذه الخطة؟

نظر إليها الشاب وقد تجهمت ملامحه وهو يقول:

- سوف نقوم بتفجير الوزارات السيادية كوزارة الدفاع ووزارة الداخلية وكذلك مجلس الشعب ومقر الإذاعة والتليفزيون ومدينة الإعلام والأقمار الصناعية وكذلك مقرات الأمن وبعض مقرات الدفاع الجوي والمناطق الحيوية الأخرى.

صمت الجميع قليلًا قبل أن تتساءل الفتاة ثانيةً قائلة:

- مثل ماذا؟

ابتسم الشاب هذه المرة وقال:

- سنقوم بتفجير مكان سوف يُنهي أي مقاومةٍ لنا وسيجعل الشعب كله لا يفكر في شيء سوى في تلك الكارثة التي سوف تحل على رأسه وكيفية النجاة منها.

صمت قليلا، ثم ألقى قنبلته وهو يتطلع في وجوههم قائلًا:

- سوف نقوم بتفجير السد.

حملق فيه ثلاثتهم بذهول وهم لا يصدقون بأنهم سيقومون بهذا العمل بالفعل.

(٥)

في الجانب الآخر من العالم، وبالتحديد في الجزء الغربي منه، دلف رجلٌ وقورٌ في الخمسينيات من عمره، يرتدي حُلةً أنيقةً سوداء اللون وربطة عنق ذات لونٍ وردي، دلف إلى قاعةٍ بيضاوية الشكل، تحتلها مقاعد تلتف حول منضدةٍ بيضاوية الشكل كذلك في منتصف القاعة في قصر الحاكم، ولم يكن في القاعة والتي تتسع لأربعين شخصًا سوى خمسة أشخاص فقط، أحدهم هو رئيس تلك الدولة الغربية العظمى ونائبه ووزير الدفاع وكذلك مدير المخابرات ورئيس مجلس النواب.

وما إن دلف الوقور إلى القاعة حتى حيَّا الجميع ثم اتخذ مقعدًا مجاورًا لهم قبل أن يبدأ رئيس الجمهورية موجهًا سؤاله إليه قائلًا:

- ما هو الموقف هناك الآن؟

تطلع إليه الوقور مبتسمًا في هدوء وقال:

- كل شيءٍ تحت السيطرة تمامًا سيدي الرئيس، فقد تم تنفيذ كل شيءٍ كما تم التخطيط له تمامًا، فعملاؤنا هناك قاموا بتجهيز كل شيء خلال فترة قصيرة للغاية، حتى وصلنا إلى ما نحن فيه الآن.

قال ذلك وصمت قليلًا ليبتلع ريقه ثم أكمل حديثه شارحًا:

- كما تعلم سيدي الرئيس، وكما يعلم الحاضرون، أننا بذلنا كل ما في وسعنا من تعبٍ وجهدٍ وتفكيرٍ وخدماتٍ وأموالٍ في سبيل تقسيم ذلك الشعب إلى فرق متناحرة، وقد استطعنا فعل ذلك بمنتهى البساطة، خصوصًا بسبب

احتياجات الشعب والجماعات والأحزاب للمال، واستطعنا زرع الكراهية بين أفراد الأحزاب والجماعات، وكذلك بين طبقات وأفراد الشعب نفسه. وها نحن على وشك أن نحصد كل ما زرعناه خلال الفترة الأخيرة، لإسقاط هذه الدولة تمامًا وانهيارها إلى الأبد، ومن ثم السيطرة عليها وعلى مقدراتها في سبيل شعبنا العظيم قائد العالم الجديد.

تجهم وجه وزير الدفاع قبل أن يقول في عصبية:

- التفاصيل أيها الرجل، نُريد كل التفاصيل الآن.

ابتسم الوقور مرة أخرى وقال:

- حسنًا يا سيدي. أنتم تعلمون أننا نعمل في عشر جبهاتٍ مختلفة في تلك الدولة، حيث تم تجنيد عدد كبير من هذه الجبهات العشر وهى الجيش والشرطة والمخابرات وجبهة الوطن والحركة الشعبية وحركة خلاص وحركة سبتمبر وكذلك الجماعة والإنفصاليين والثوريين، ولقد تم تقديم كل المساعدات المادية والأسلحة لهم كلٍ على حدة وبدون علم أيٍ منهم بما نخطط له مع الجماعات والفرق الأخرى، وبالفعل استطعنا التغلغل في كل المناطق والأماكن الحساسة والسرية في هيكل الدولة نفسه، حتى القصر الرئاسي أيضًا.

صمت الوقور مرة أخرى، وتناول كأسًا من أمامه وضع فيه قليلًا من الماء وازدردها في سرعة قبل أن يكمل حديثه قائلًا:

- وعندما تمكنا من ذلك، استطاع عملاؤنا تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة، وهى زرع المتفجرات الحديثة، صغيرة الحجم، شديدة التدمير، في جميع المناطق الحيوية بالدولة، وكذلك جميع الوزارات السيادية، ومجلس الشعب،

حتى القصر الرئاسي نفسه تم زرع المتفجرات به، والتي يستطيع السيد الرئيس أن يقوم بتفجيرها كلها بضغطة زر واحدة عن طريق الأقمار الصناعية. كما قام نفس العملاء بزرع أجهزة التجسس في الأماكن نفسها لمتابعة كل شيء حتى تكون سيطرتنا كاملة.

صمت مرة أخرى، وراح يتطلع في وجوه الرجال الخمسة وهم منتبهون إلى حديثه تمامًا ثم قال متابعًا:

- وكما تعلمون لقد خططنا لقيام هذه الثورة، لتعُم أنحاء البلاد استغلالًا لحاجة الشعب، وكذلك لتعسف رجال الأمن في التعامل مع أفراد الشعب، وذلك لكي نستطيع تنفيذ خطتنا دون أن نظهر نحن في الصورة أصلًا، بل سيبدو كل ما حدث، أنه حرب أهلية بين جميع طوائف الشعب وأحزابه وقومياته، وما إن تتم التفجيرات في أنحاء البلاد، حتى يقوم حُلفاؤنا باقتحام الحدود، والتوغل حتى العاصمة، ونشر قواتهم في كل مكان، ولن تكون هناك مقاومة من أي نوع، سوى مقاومة الأفراد فقط بعد تدمير كل ما له علاقة بالجيش أو الشرطة أو حتى مقومات الحياة الأساسية، حيث سيفاجأ الشعب بأنهم قد عادوا مرة أخرى إلى العصر الحجري تقريبًا.

أنهى الوقور حديثه، وأرجع رأسه إلى الوراء مسندًا إياها على ظهر مقعده متطلعًا إليهم، ومنتظرًا ما سيطرح عليه من أسئلة، وبالفعل ما لبث أن سأله رئيس دولته قائلًا:

- وما هى توقعاتك بالنسبة إلى الأحداث الراهنة؟

ابتسم الوقور مجددًا وقال:

- لقد تم إحاطة الميدان الرئيسي بالعاصمة بقوات الجيش بالفعل، وتم منع دخول أو خروج أي فرد من هناك، كما تم قطع الاتصالات عنهم، وسوف يقوم الجيش بعمل إبادة جماعية لمن في الميدان كما خططنا تمامًا، وسوف يقوم عُملاؤنا في كل مكان بتنفيذ مهامهم كما هو مخطط في نفس التوقيت تمامًا. ومعها سوف تقوم أنت سيدي الرئيس بوضع اللمسات النهائية في حياة هذه الدولة، ليتم اجتياحها عن طريق جيوش حليفتنا وبمساعدتنا كذلك.

أنهى حديثه وابتسم ومعه ابتسم الجميع. وعقد الشيطان كفيه متسائلًا كيف استطاع هذا الجمع تخطيط وتنفيذ هذه الخطة التي لم يفكر هو نفسه في مثلها مطلقًا.

(٦)

استيقظ (هادي) من نومه مبكرًا كعادته في تلك الأيام، فلم تكن الساعة قد تجاوزت السادسة والنصف صباحًا بعد، وما إن فرغ من طقوسه اليومية بعد الاستيقاظ، حتى انطلق إلى خارج الفيلا الصغيرة والتي يقطن بها مع والديه وأخته الكبرى في حي المهندسين.

كان يشعر بالسعادة البالغة، والتي لم يذُق مثلها طوال عُمره البالغ الثانية والعشرين عامًا، إنه يتجه إليها، نعم إليها، إلى سبب سعادته تلك، إنها (هالة) التي خطفت قلبه منذ أن رآها للمرة الأولى، لقد شاهدها هناك في الميدان، في اليوم الثاني من المظاهرات المعادية للشرطة، والتى تطالبهم بالتعامل مع المواطنين على أنهم بشر، ولكنهم للأسف لا يسمعون ولكثرة تعديهم وتعاليهم على المواطنين، كانت هذه المظاهرات، التي لم يكُن أحدٌ في الدُنيا كلها يستطيع أن يتنبأ بأن تنقلب إلى ثورة، ثورة عمت أرجاء البلاد، إنها مصرالحبيبة، والتي ثارت ضد الظلم والطغيان على مر العصور. ها هى تثور ضد الظلم والطغيان المتمثلين في النظام الحاكم كله بكل رؤوسه وأطرافه.

توقفت خواطره قليلًا وهو ينطلق على قدميه في حي المهندسين، حتى وصل إلى شارع محي الدين أبو العز حيث تقطن محبوبته في شارع فرعي أمام نادي الصيد في فيلا صغيرة مع والديها وأختها الصغرى.

لقد استشرى الفساد في كل مكان في الدولة، وكان الأكثرفسادًا هو جهاز الشرطة، الجهاز الذي من واجباته حماية الشعب، كان هو البلطجي على

الشعب، كان هو خوف الشعب، كان هو السبب في آلام الشعب، أو في الجزء الأكبر من تلك الآلام.

سرح بخياله قليلًا. أجل لم يكن لي أي احتكاك بهم، ولا حتى في الجامعة، ولكني كنت أشاهد ما يفعلونه، خصوصًا في فض المظاهرات، والتي دعاه أحد أصدقائه للخروج فيها ذات مرة، وكانت أمام دار القضاء العالي، وشاهد كيف انطلقت الشرطة في فض المظاهرة بالهراوات، وكانوا يضربون بها المتظاهرين كيفما اتفق، في أكتافهم، في رؤوسهم، في وجوههم، لا يهم؛ المهم أن يقوموا بفض المظاهرة. وقتها شاهد صديقه (مدحت) والذي دعاه للمظاهرة، وهو ينزف من جرحٍ كبيرٍ في رأسه، بعد أن تلقى به ضربةً قويةً من إحدى الهراوات، فأسرع إليه وهو يتفادى ضربة كادت تطيح برأسه هو أيضًا لولا ستر الله، وانحنى على صديقه وحمله على كتفه لينطلق به بعيدًا لإسعافه. ومن وقتها وهو لا يكُن ودًا لذلك الجهاز المسمى بالداخلية.

توقفت ذكرياته مرة أخرى وهو يقف قريبًا من الفيلا التى تقطن بها (هالة)، وأخرج هاتفه وقبل أن يتصل بها، وجدها تخرج من الفيلا مهرولة ناحيته وهى تبتسم في شوقٍ ثم صافحته بابتسامة واسعة وهي تقول:

- في موعدك تمامًا كما هى العادة.

فرد عليها مبتسمًا في هيام:

- وهل أستطيع التأخر على أميرتي !!!!!

تخضب وجهها خجلًا وهى تنظر إلى الناحية الأخرى من الشارع وقالت:

- هيا بنا إلى بيتنا الثاني.

ثم نظرت إلى وجهه باسمةً وقالت:

- هيا بنا إلى ميدان التحرير.

ظهرت الجدية على وجه (هادي) وهو يقول:

- نعم. وأرجو من الله أن تنزاح هذه الغُمة قريبًا.

وازدادت نبرة صوته حدةً وسخطًا وهو يتابع حديثه قائلًا:

- لا أدري لماذا لم يُعلن الرئيس رحيله حتى الآن؟ حتى خطابه الأخير بالأمس كان مخيبًا للآمال.

هزت (هالة) رأسها في أسفٍ حقيقي وقالت:

- يبدو أنه لم يستوعب بعد ما يحدث في أرجاء البلاد، لا هو، ولا كل من حوله، حتى أنهم يعتبرون ما يحدث مجرد لعب أطفال كما يقولون. أو كما قال الرئيس نفسه خليهم يتسلوا.

ابتسم (هادي) ساخرًا وهو يقول:

- نعم لُعب أطفال، لن ينتهى حتى ينصلح حال بلدنا، ولن ينصلح الحال إلا إذا رحل كل هذا النظام الفاسد إلى غير رجعة، نحن نُريد التجديد والحرية والعدالة الاجتماعية.

وصمت قليلًا قبل أن يستطرد قائلًا:

- لقد صدق الدكتور محمود أستاذ الإعلام بالفعل في كل كلمة قالها لنا في محاضراته في الكلية، لابد من التغيير حتى يتم علاج كل مشاكل الدولة، لابد من استئصال الورم كاملًا حتى لو أدى ذلك إلى البتر، ومع كل ما قاله لنا،

لم أكن لأتخيل ولو للحظة واحدة أن يكون الدكتور محمود معنا في الميدان، لقد قابلته في اليوم الأول عند الظهيرة ولا يزال في الميدان لم يبارحه بتاتًا حتى الآن.

ثم عاد ليصمت ملتقطًا أنفاسه قبل أن يقول في حُزن:

- صدقيني يا (هالة). أنا لم أكن أعتقد أن هناك أُناسًا تحت خط الفقر هكذا. لقد كنت أعتقد أن هذا مجرد كلام يبثه الإعلام حتى يستطيعوا حصد الأموال من التبرعات وسرقتها، وكذلك يفعلون. ولكن بعدما بدأت المظاهرات في يوم الثلاثاء (٢٥ يناير) وكنت أحد المتواجدين بميدان التحرير، وظللت هناك حتى صباح الأربعاء، وشاهدت جميع أطياف الشعب كما يقولون، الغني والفقير، المتعلم والأمي، الطبيب والغفير، المسلم والمسيحي، المتدين وغير المتدين، فوجئت بأن الجميع هناك أسرةٌ واحدة كبيرة، أُسرة تضُم كل الأطياف والمستويات، لقد كنا نتقاسم الخبز فيما بيننا، من معه يعطي لمن ليس معه شيء. ولقد أُغرقت في الضحك عندما سمعت ما يقوله الإعلام المصري من توزيع وجبات كنتاكي وخلافه، بالفعل لقد وصل الفساد إلى كل مكان.

وضعت (هالة) يديها على فمه وقالت باسمة:

- هل ستستمر في هذا الكلام الذي نعرفه جميعًا حرفًا حرفًا؟

نظر إليها (هادي) مبتسمًا وعلى وجهه علامات الاعتذار وقال:

- سامحيني يبدو أنني اندمجت في الحديث.

وصمت لحظات قبل أن يقول:

- هيا بنا لشراء بعض المستلزمات، ثم نتوجه إلى حيث صُحبتنا في ميدان التحرير.

ابتسمت (هالة) في سعادة، وأصابع أيديهما تتشابك في حُبٍ، وهما يتجهان إلى ذلك الماركت الشهير قبل ذهابهما إلى الميدان في ذلك اليوم وهما لا يدريان ما ينتظرهما من أحداثٍ قد تُغير مجرى حياتهما إلى الأبد.

(٧)

انطلق رنين الهاتف الأحمر على المكتب أمام وزير الداخلية المصري وأمامه يجلس عددٌ من مساعديه وهم في قمة القلق، وانتفضوا جميعًا بمن فيهم وزير الداخلية عندما انطلق رنين الهاتف. ولكن سرعان ما تمالك وزير الداخلية نفسه وهو يلتقط سماعة الهاتف ويضعها على أذنه قائلًا:

- سيدي الرئيس.

أتاه صوت رئيس الجمهورية المصري من الطرف الآخر قائلًا في توتر وعصبية ظاهرة:

- كيف تسير الأمور في البلاد أيها الوزير؟ كيف لا تستطيعون السيطرة على أولئك المتظاهرين حتى الآن؟

صمت الرئيس، ليتيح الفرصة لوزير الداخلية بالإجابة، ليقول الأخير وهو يتفصد عرقًا:

- سيدي الرئيس، نحن نحاول قدر جهدنا لكي نسيطر على المتظاهرين، ولكن أعدادهم كبيرة على غير المتوقع لذا ...

قاطعه الرئيس قائلًا بحدة:

- ما معنى كلامك هذا أيها الوزير؟ لابد أن تنتهي هذه المهزلة غدًا. أريد أن أرى ميدان التحرير فارغًا تمامًا بعد صلاة الجمعة، هل تفهم؟ وليس هذا فقط بل لا أريد أن أرى أي تظاهرات في مصر بعد ذلك أبدًا. هل فهمت؟

انتفض جسد الوزير في مقعده، ومساعدوه ينظرون إليه بإشفاقٍ شديد، قبل أن يرد على الرئيس قائلًا:

- وماذا نفعل أكثر مما نفعل بالفعل يا سيدي؟ رجالي لم يذُق أحدهم طعم النوم منذ أكثر من يومين كاملين وهذا هو يومهم الثالث يا سيدي.

انطلق صوت رئيس الجمهورية هادرًا وهو يقول:

- قم بتنفيذ الخطة (ألِف) على الفور أيها الوزير.

صُدم وزير الداخلية، حتى أن جميع مساعديه تطلعوا إليه متسائلين، قبل أن يرد على الرئيس متسائلًا:

- ماذا تقول يا سيدي؟

أتاه صوت الرئيس كالصاعقة مرة أخرى وهو يقول صارخًا:

- ألم تسمع أيها الوزير؟ قم بتنفيذ الخطة (ألِف) على الفور، لينتهي كل شيءٍ اليوم، حتى تُفرغوا الميدان من كل شيءٍ صباح الغد. هل فهمت؟

تنهد وزير الداخلية بحدة وهو يجيب:

- أمرك سيدي الرئيس.

ثم أغلق الهاتف وهو يتطلع إلى مساعديه قائلًا وعلى وجهه علامات الأسى والألم الشديدين:

- يبدو أن هذا اليوم لن يرحل عنا إلا بالدماء والموت.

تطلع إليه مساعدوه بدهشة قبل أن يقول أحدهم:

- ماذا حدث يا سيدي الوزير؟ وما الذى أخبرك به سيادة الرئيس؟

تطلع إليهم وزير الداخلية وعلى ملامحه أمارات الأسف وهو يقول:

- لقد أمرنا الرئيس بتنفيذ الخطة (ألِف).

وما إن نطق عبارته، حتى عم الصمت والذهول التامان على جميع من في الحجرة وهم ينظرون إلى وزير الداخلية غير مصدقين آذانهم، في حين سرح الوزير في مضمون هذه الخطة اللعينة، التي يعلم تمامًا أن من وضعها هو الشيطان. نعم الشيطان نفسه. فقد كانت الخطة (ألِف) تقضي بأن يتم نشر تشكيلات مسلحة من الشرطة وقوات الأمن المركزي في شوارع القاهرة، مع التوصية باستخدام أقصى درجات العنف مع المتظاهرين، ومنعهم من الوصول إلى ميدان التحرير، حتى لا يصل عددهم في الميدان إلى مليون متظاهر، وبأي وسيلة، حتى لو أدى الأمر إلى استخدام الطلقات الحية، وعزل مدينة القاهرة تمامًا عن طريق غلق مداخلها ومخارجها، وعدم دخول أو خروج أي فردٍ منها، وعزل المتظاهرين تمامًا عن طريق قطع وسائل الاتصال من هواتف أو تليفون أرضي أو حتى الإنترنت، ولو أدى ذلك إلى قطع هذه الخدمات عن جميع أنحاء الجمهورية، وليس عن العاصمة فقط. وكذلك حماية الشخصيات الهامة، كرئيس مجلس الشعب، والوزراء، ونجلى الرئيس، وإذا زادت الأعداد، يتم نقل الرئيس إلى المقر الاحتياطي الآمن، وإلقاء خطابات للشعب من خلاله. وكذلك تأمين المناطق الحيوية في البلاد، من محاولة التخريب، وعلى رأسها القصر الجمهوري، ومبنى الإذاعة والتليفزيون، والمطار، ومجلسي الشعب والشورى، ووزارة الداخلية، والسفارات الأجنبية، ومديريات الأمن، ومقار مباحث أمن الدولة، وذلك عن طريق نقل القوات بالطائرات الهليكوبتر لسرعة التنفيذ،

وكذلك تخزين الأسلحة في عربات الإسعاف المحيطة بميدان التحرير، لاستخدامها وقت اللزوم.

زفر الوزير زفرة حارة طويلة وهو يتطلع إلى مساعديه وقال:

- هيا سريعًا فليقُم كل منكم بمهمته في تنفيذ الجزء الخاص به من الخطة (ألِف) وليشدد الجميع على رجاله، لا إطلاق للذخيرة الحية، لا يتم استخدامها إلا في أضيق الحدود وعندما يجدون أن الأمور ستفلت من أيديهم تمامًا، غير ذلك فسوف أعاقب الجميع. هل تفهمون؟

أومأ الجميع برؤوسهم إيجابًا وهم ينطلقون لتنفيذ الخطة (ألِف) والتي ستُحيل البلاد إلى فوضى عارمة.

(٨)

انطلقت ثلاث طائرات حربية مسلحة بخمسة أضعاف سرعة الصوت نحو هدف محدد مسبقًا يبتعد عن مكان انطلاقها بحوالي (١٢٠٠) كيلومتر لتقطعها الطائرة في حوالي اثنتي عشرة دقيقة.

وقد انطلق الطيارون باحترافية شديدة، وعلى ارتفاع منخفض تمامًا، حتى لا تكشفهم رادارات الدفاع الجوي في تلك الدولة المستهدفة، لضرب أحد أشهر معالمها الرئيسية.

وما إن تجاوزوا حدود تلك الدولة، حتى انطلق صوت قائد إحدى الطائرات قائلًا:

- من طائر الرخ إلى مركز القيادة، الهدف على بُعد ثلاث دقائق، أرجو التأكيد بالتعامل مع الهدف فور رؤيته.

أتاه صوت القائد من مركز القيادة في دولته، وهو يتطلع إلى وزير الدفاع قائلًا بعدما أشار إليه الوزير بإتمام المهمة:

- من مركز القيادة إلى طائر الرخ، قم بتنفيذ المهمة، ولا تعودوا إلا بعد التدمير التام للهدف.

أومأ قائد الطائرة برأسه، وكأنما يراه قائده وهو يقول:

- عُلم ياسيدي، وها هو الهدف قد ظهر بالفعل، وسوف نتعامل معه على الفور.

تطلع القائد في مركز القيادة إلى وزير دفاعه في لهفة وهو يُكمل حديثه مع قائد الطائرة قائلًا:

- حسنًا يا طائر الرخ نحن في انتظار سماع دوي الانفجار الآن.

وبالفعل انطلقت الطائرات الثلاث في تشكيل هجومي تدربوا عليه جيدًا، وصوبوا صواريخهم نحو الهدف، وانطلقت أصابعهم لكي تضغط على أزرار إطلاق الصواريخ، وهم يشاهدون على شاشاتهم جسم السد العملاق، والذي يقبع في جنوب تلك الدولة الغارقة في المظاهرات.

وابتسم وزير دفاعهم وقائد الأسطول الجوي، وهما يراقبان السد بالأقمار الصناعية، في انتظار رؤية انفجار السد، قبل أن يرتفع صوت أحد المراقبين الجويين قائلًا فجأة:

- لقد اختفت الطائرات الثلاث ياسيدى، اختفت الطائرات تمامًا.

وما إن أتم قوله، حتى انهار وزير دفاعه على مقعده غير مصدقٍ لما يسمع، في حين جحظت عينا قائد الأسطول الجوي وهو ينظر إلى جسم السد في بلاهة.

(٩)

دلف مدير المخابرات في تلك الدولة، والتي تقع في أقصى الغرب إلى الحجرة البيضاوية ليجد رئيس الجمهورية ومعه وزير الدفاع في انتظاره على أحر من الجمر، وما إن شاهده رئيس الجمهورية حتى سأله في لهفة:

- ماهى آخر الأخبار هناك؟

تطلع إليه مدير المخابرات، وزمَّ شفتيه مستاءً قبل أن يقول:

- حتى الآن لم يتم تنفيذ الخطة (ألف) كما هو مخطط له، ونحن في الانتظار.

فسأله وزير الدفاع:

- وما هى آخر أخبار قنابلنا هناك؟

رد عليه مدير المخابرات في فتورٍ قائلًا:

- في انتظار إشارتنا يا سيدي، فخريطة توزيع القنابل بأجهزة البث الخاصة لا تزال تُعطي إشاراتها، ولم يكتشفها أحدٌ حتى الآن.

أشار إليهم الرئيس بكلتا يديه متسائلًا:

- ولكن ماذا سنفعل إن لم يتم تنفيذ الخطة (ألف) هناك بالفعل؟

تطلع إليه وزير الدفاع ومدير المخابرات في صمتٍ، قبل أن يقطعه مدير المخابرات قائلًا بحزم:

- سوف نقوم بتنفيذ خطتنا، فلن تسنح لنا فرصة أخرى مثلها أبدًا.

ابتسم وزير الدفاع وقال مؤيدًا رأي مدير المخابرات:

- بالفعل سيدي الرئيس، وخصوصًا أننا أخذنا موافقة مجلس النواب بالفعل لتنفيذ خُطتنا. كما أن حليفتنا هناك سوف تقوم بتنفيذ مهمة نسف السد في أي وقتٍ الآن، وأعتقد أننا سوف نقوم بمهمتنا فور نسف السد مهما كانت النتائج، حتى لو لم يتم تنفيذ الخطة (ألف) هناك.

ثم غمز بعينيه قبل أن يكمل قائلًا:

- ولا تنس المساعدة القيمة، والخطة المحكمة، التي أعطانا إياها (دونالد) فلولاه لم يكن ليخطر على بالنا قط التفكير في تلك الخطة الشيطانية.

لم يكد يتم جملته، حتى فوجئ الجميع بباب الحجرة البيضاوية يُفتح بعنف، ليدخل قائد الأسطول البحري مندفعًا وهو يقول بجذعٍ:

- مصيبة سيدي الرئيس، مصيبة كبيرة.

انطلق صوت الرئيس قائلاً بحدة:

- أي مصيبةٍ تلك يارجل أفصح؟!

جلس قائد الأسطول البحري على أحد المقاعد وقال شارحًا:

- لقد أرسلت الدولة الصديقة لنا في الشرق ثلاث طائرات لضرب السد في تلك الدولة هناك.

أومأ رئيس الجمهورية برأسه متفهمًا ومنتظرًا المزيد. فأكمل قائد الأسطول البحري:

- ولقد وصلت الطائرات إلى منطقة السد بالفعل، وما إن بدأوا بالتصويب عليه حتى حدثت المفاجأة.

تطلع إليه الجميع في شغف لسماع باقي حديثه، وقال مدير المخابرات في نفاد صبر:

- وماذا حدث يا رجل ؟ تكلم.

هز قائد الأسطول البحري رأسه في ذهول وعدم تصديق قبل أن يقول:

- لقد اختفت الطائرات الثلاث. اختفت تمامًا.

نظروا إليه جميعًا في ذهول قبل أن يسأله رئيس الجمهورية في دهشة شديدة:

- كيف؟! كيف حدث ذلك؟!

ضرب قائد الأسطول البحري كفًا بكفٍ متعجبًا وهو يقول مسترسلًا:

- لا ندري يا سيدي. لقد كانوا يصوبون أسلحتهم إلى السد بالفعل وفجأة انقطع الاتصال واختفوا تمامًا من على الشاشات.

توجهوا جميعًا بأنظارهم إلى شاشات المراقبة، والتى تُظهر لهم أهم المناطق الحيوية في تلك الدولة، وخصوصًا ذلك الميدان المُحاصر من قوات الجيش، وقال وزير الدفاع بحدة:

- سيدي الرئيس. لابد من تنفيذ الخطة الآن. دعنا نرى انهيار تلك الدولة اللعينة أمام أعيننا الآن. دعنا ننفرد بكل مقدراتها، دعنا سيدي الرئيس ننفرد بزعامة العالم أجمع.

ما إن انتهى من حديثه، حتى ضغط رئيسه زرًا أحمر اللون في جهاز صغير أمامه متصل مباشرةً بالأقمار الصناعية ليعطي الإشارة إلى القنابل

المزروعة في تلك الدولة. ولكن للعجب الشديد لم يحدث أي شيء بعدما ضغط على الزر.

ونظروا جميعًا بذهول شديد إلى الشاشات، ثم تحولوا بنظرهم مرة أخرى إلى جهاز التحكم الذى راح يضغطه الرئيس مرةً بعد أُخرى ولا شيء يحدث.

وفجأة انفتح الباب بعنفٍ شديدٍ مرة أُخرى، قبل أن يندفع نائب رئيس المخابرات وهو يقول فى انهيار:

- كارثة كبرى، كارثة كبرى.

انطلق صوت رئيس الجمهورية مذعورًا وهو يهُب من مقعده فزعًا:

- ماذا يحدث في هذا اليوم الأسود؟. أخبرنا يا رجل.

لم يكد يسمع الجميع ما قاله نائب مدير المخابرات،حتى هبطت عليهم صاعقة من الذهول، وقد تحولوا إلى تماثيل، واتسعت أعينهم وأفواههم من الصدمة.

(١٠)

أسرع وزير الدفاع الخُطى إلى خارج مبنى القصر الجمهوري. وبدلًا من التوجه إلى سيارته للانطلاق خارجًا، شبك يديه خلف ظهره وسار بخطوات متمهلة في حديقة القصر وابتسامة خفيفة ترتسم على شفتيه لا يكاد يلحظها أحدٌ، حتى وصل إلى منطقة كثيفة الأشجار تتوسطها منضدة صغيرة حولها أربعة مقاعد ووجد رجلين في انتظاره فحياهما قائلا:

- مرحبًا بالسيد وزير الداخلية، والسيد مدير المخابرات. كيف حالكما في هذه الفترة العصيبة؟

رد وزير الداخلية وهو متجهم الوجه قائلًا:

- ليس على ما يرام بالتأكيد، فأنت تعلم ما نحن فيه جيدًا، ولا أخاف من شيءٍ أكثر من عدم قدرتنا على تنفيذ الخطة كما يجب. وإلا ستكون فاجعةً كبرى.

ابتسم مدير المخابرات وقال:

- ليس هناك أي داعٍ لتوترك هذا سيدي الوزير. فسوف يكون كل شيءٍ على ما يُرام تمامًا.

جلس وزير الدفاع على أحد المقعدين الشاغرين. وقبل أن يتكلم مرة أخرى كان رئيس الجمهورية قد وصل إليهم. فأسرع ثلاثتهم بالوقوف لتحيته فأشار إليهم بالجلوس وهو يقول في سرعة:

- ليس هذا وقت الرسميات. أنتم تعلمون أننا نجتمع هنا بسبب أجهزة التصنت المزروعة في القصر، وفي كل مكان حيوي في البلد، ولذا فنحن نجتمع هنا منذ أن تم اكتشافها، ولقد كانت وجهة نظر مدير المخابرات صائبة تمامًا عندما طلب منا عدم نزعها. ومن خلالها كنا نقوم بتنفيذ خُطتنا المزدوجة والتي سنتمكن من خلالها من النصروالسيطرة على مقاليد الأمور تمامًا.

أومأ الجميع برؤوسهم متفهمين في حين قال مدير المخابرات:

- سيدي الرئيس. لقد تم فك جميع القنابل التي زُرعت في كل الأنحاء في البلد، وتركنا أجهزة التصنت و أجهزة الإرسال الخاصة بها في أماكنها حتى لا يعلموا أننا قد انتبهنا إلى خُطتهم الوضيعة لتدمير بلدنا العزيز.

صمت قليلًا عن الحديث ثم قال مبتسمًا:

- ولقد أرسلنا إليهم هديتهم، وسوف تكون مُفاجأة كبرى لهم لن يتوقعها أي منهم أبدًا.

نظر إليه وزير الدفاع وقال متسائلاً:

- كيف أرسلت إليهم هديتهم؟!.

ارتسمت الجدية على وجه وزير الداخلية وقال:

- لقد صُعقت عندما علمت من السيد مدير المُخابرات والسيد الرئيس بموضوع القنابل المزروعة، وبعد معرفة جميع أماكن هذه القنابل والتي أعطانا ذلك الرجل الغامض خريطة كاملة لها، فكرت في خُطة جهنمية، واستشرت فيها السيد رئيس الجمهورية، فأبدى موافقة فورية عليها، وساعدني على تنفيذها السيد مدير المخابرات.

صمت وزير الداخلية قليلًا، فاستحثه وزير الدفاع قائلًا:

- أكمل يا رجل وماذا فعلتم؟

ابتسم وزير الداخلية وقال:

- لقد أرسلنا القنابل شديدة التفجير وعددُها خمسون قنبلة إلى تلك الدولة الغربية والتى تُحاول السيطرة على العالم، وكذلك السيطرة على دولتنا العزيزة بالتحالف مع تلك الدولة الحقيرة المُغتصِبة القريبة منا، ولذا فقد أرسلنا القنابل في طرد دبلوماسي إلى سفارتنا هناك، ثم تولى مدير المخابرات مع رجاله مهمة زرع هذه القنابل في أماكن حيوية ولكن بعيدًا عن التجمُعات البشرية المدنية، حتى إذا أصر رئيس تلك الدولة على تفجيرها، فليفعل ما يحلو له، لأنها سوف تنفجر في دولته هو، وليكن عليه تفسير ما سيحدث لهم هناك في مجلس النواب. هذا إذا اجتمع أساسًا.

ابتسم وزير الدفاع وقال:

- أحسنتم صُنعًا يا سيادة الوزير.

ثُم التفت إلى رئيس الجمهورية وقال:

- ومن جهتنا نحن فقد سربنا موضوع أن الخُطة (ألف) هذه تعني تدمير الميدان بالكامل بما فيه ومن فيه عن طريق إسقاط القنابل والصواريخ عليه. مما ساعد على رسم خُطة العدو بعمل التفجيرات المتزامنة مع تفجير الميدان لخلق الفوضى العارمة في البلاد وكذلك تقوم الدولة المُجاورة بتفجير السد، ثم الدخول بقواتها للاستيلاء على أراضينا مرة أخرى، بل والتوغل حتى العاصمة،

ولكن المُفاجأة الكبرى ستكون من نصيبهم جميعًا، وستكون هزيمتهم نكراء. نكراء تمامًا.

هز رئيس الجمهورية رأسه مُتفهمًا، وتوجه بحديثه إلى مدير المُخابرات قائلًا:

- وماذا عن ذلك الرجل الغامض؟

أومأ مدير المُخابرات برأسه وقال:

- نحن معه يا سيدي الرئيس، ولقد أخبرنا بالكثير، وأعتقد أنه لا يزال لديه الكثير أيضًا، ونرجو أن نستفيد منه أقصى استفادة.

هز رئيس الجمهورية رأسه مؤمِنًا على حديثه وقال:

- المهم أن نستطيع إنقاذ دولتنا بالفعل.

(١١)

انطلق (هادي) و(هالة) متشابكي الأيدي، إلى شارع جامعة الدول العربية للاتجاه إلى منطقة ميدان مصطفى محمود، ومن ثم إلى شارع البطل أحمد بن عبد العزيز، وما إن دلفا إلى شارع جامعة الدول العربية، حتى شاهدا جموعًا من المتظاهرين وبعضهم يعتلي جمالًا وأحصنةً وعددًا من عربات الحنطور ومتجهين ناحية ميدان مصطفى محمود وهم يحملون صورًا لرئيس الجمهورية ويهتفون بحياته وأنه هو الأب لكل المصريين وأنه سبب الاستقرار الذي تعيشه مصر منذ عقود.

وارتسمت دهشة كبيرة على وجهيهما وهما يحدقان في تلك الجموع وهما غير مصدقين لما يحدث أمامهما.

وانطلقا في طريقهما في صمتٍ شديد، وحولهما تنطلق الأصوات تُشيد بالرئيس وإنجازاته، حتى وصلا إلى ميدان مصطفى محمود، ليجدا تجمعًا كبيرًا يحتوي على عدة آلاف وعدد من الخيول والجِمال يتراقصون مع المتظاهرين المؤيدين للرئيس.

وانطلق (هادي) و(هالة)،وهما يهُزان رأسيهما غير مصدقين لما يحدث، قبل أن يقول (هادي) بعد أن ابتعدا عنهم وتوغلا في شارع البطل:

- للأسف ما يحدث الآن هو نتيجة طبيعية للأحداث، فنحن حتى الآن لم نستطع أن نضغط على الرئيس لكي يرحل، ثمانية أيام كاملة، وهذا هو اليوم التاسع ولم يتفاعل الرئيس مع مطالب المتظاهرين بشكلٍ جيد.

قال ذلك وهو يضرب بقبضة يده باطن يده الأخرى بعد أن ترك يد (هالة) ضربات متتالية حتى اضطرت (هالة) إلى سحب يده والتمسك بها مرة أخرى وهي تقول:

- وماذا نفعل أكثر مما نفعل؟ هل نحمل السلاح ونهجم على قصر الرئاسة؟ أنت تعلم أن ثورتنا سلمية، وأننا كُلنا ندعو بدعوة واحدة، وهي إسقاط الرئيس ونظامه ولن نترك دعوتنا هذه حتى نحصل على ما نُريد بالفعل، أو نلحق بشُهدائنا الأبرار.

وما إن أتت على ذكر الشُهداء، حتى بدأت في بكاء صامت، لتنهمر دموعها وهى تشُد على يد (هادي) بشدة، وتتذكر صديقتها اللتين استشهدتا في الميدان يوم الخميس قبل (جمعة الغضب) والتي كادت هى نفسها أن تُشاركهما نفس المصير لولا ماحدث، وانطلقت دموعها في الانهمار كالشلالات مما اضطر (هادي) لأن يتوقف ويجلسها على الرصيف ويجلس بجوارها وهو يُربت على رأسها بيده والأُخرى تمسك بيدها في شدة. وراح يتذكر كيف تعرف عليها في ميدان التحرير.

كانت تتوسط مجموعة من الفتيات تتكون من خمسة أفراد، وهى تهتف بشدة وبمجرد أن وقع نظره عليها حتى وجد قلبه يختلج بين أضلاعه وأحس بأن حرارته قد ارتفعت فجأة. وصمت تمامًا، بعدما كان يردد مع المتظاهرين .. عيش .. حرية .. عدالة اجتماعية .. كرامة إنسانية. كان صوتها في أذنيه رقيقًا حانيًا. لم يعرف لماذا جذبه صوتها وهيئتها بشدة. هل هى ملامحها، هل هى رقتها البادية عليها. هل هو صوتها الحنون. هو لا يدري، لقد شاهد المئات من الفتيات ولكنها المرة الأولى التي يَحُس فيها بهذا الإحساس.

ظل طوال اليوم متابعًا لها، وللحظ السعيد أنها لم تتحرك من مكانها إلا قليلًا. كانت مع مجموعتها يتمركزون عند تلك الناصية في الميدان، وهو نفس المكان الذى يقف فيه منذ أن جاء في يومه الأول مع باقي أصدقائه.

وفجأة وجد من يجذبه من ذراعه وهو يقول له:

- إيه يا (هادي)؟ ماذا دهاك يا فتى؟! لماذا صمت فجأة؟ ولماذا سرحت فجأة هكذا؟

ابتسم (هادي) وهو ينظر إلى صديقه وقال:

- لا شيء يا صديقى. لا شيء البتة.

وبدأ مرة أخرى في الهُتاف، وهو يختلس النظر إليها، حتى أتى المساء واقتربت الساعة من العاشرة ليلًا، ووجدها وزميلاتها وهن يتأهبن للرحيل، ولقد هم أن ينطلق إليها ليسألها عن اسمها، ولكنه أحجم، ولم يدر ماذا يفعل حتى اختفت هى وصديقاتها من الميدان.

انقطعت ذكرياته وهو يشاهد جموعًا أخرى تنطلق إلى ميدان مصطفى محمود، وتهتف أيضًا بحياة الرئيس.وتطالب متظاهري التحرير بالانصراف، لكي تستقر البلاد بعد الفوضى التي تسببوا بها.

وهز(هادي) رأسه مرة أخرى، وهو يعود بذكرياته إلى صباح ذلك اليوم التالى لمشاهدته لـ (هالة). فبعد ليلة طويلة قضاها في الميدان مع أصدقائه، وبعد الفجر نام أغلب المتواجدين في الميدان، وظل البعض ساهًرا للحراسة. صحا من نومه على صوتها. نعم لقد استطاع سماع صوتها بالرغم من خفوته وهى تهتف. فقفزواقفًا على قدميه غير مُصدق. ولكنه وجدها بالفعل واقفة في

نفس المكان وسط صديقاتها، وهى تهتف معهن. وابتسم سعيدًا حتى أنه لم يُلاحظ صديقه وهو يحدثه بأنه سيذهب لإحضار أي شيء لتناوله لأنه جائع.

واستمرت الهُتافات والمناوشات مع الشرطة حتى قبل الظهيرة بقليل، حيثُ بدأت الشرطة في استخدام القنابل الدُخانية والمُسيلة للدموع، ولم يهتم (هادي) بنفسه، بل كان كل اهتمامه بها، فما إن بدأت الشرطة في إطلاق قنابلها باتجاههم، حتى أسرع (هادي) بالتوجه إلى حيث تقف وسط صديقاتها، وقبل أن يصل إليها، وجد صديقتها التى تقف بجوارها تمامًا، تسقط أرضًا غارقةً في دمائها وهى تنظر إليها ذاهلة، وصوب (هادي) نظره للأعلى، فوجد بعض القناصة أعلى أسطح العمارات، فأسرع بالقفز إلى جوارها، وجذبها لأسفل بسرعة، ليجد الفتاة التي كانت تقف خلفها وقد سقطت، والدماء تُغرق رأسها.

وصرخت (هالة) وصرخت وصرخت، وهى ترى صديقتها الأولى تسقُط شهيدة، ثُم ترى نفسها أرضًا وقد أنقذها (هادي)، لتسقُط صديقة أُخرى شهيدة بدلاً منها. ولم يحتمل قلبها ذلك، فأُغمى عليها، ليحملها (هادي) ويتوجه بها إلى المستشفى الميداني وسط الدُخان والغازات المُسيلة للدموع، والتي كادت أن تقتُلهما خنقًا.

وماكاد يصل إلى المستشفى الميداني، حتى وضعها على الأرض، وألقى نفسه بجوارها وقد خارت قواه، واستعصى عليه نَفَسُه حتى كاد أن يختنق، ليسرع إليه الطبيب ولكنه أشار إلى (هالة) لكى يتم إسعافها أولًا.

أفاق (هادي) من ذكرياته على صوت (هالة) وهى تقول:

- (هادي) هيا بنا لقد تأخرنا عليهم في الميدان.

نظر إليها بحنان وهو يقول:

- كيف حالك الآن؟

ابتسمت ابتسامة صغيرة حزينة وهى تقول:

- الحمد لله،أحسن حالًا.هيا بنا لشراء ما نحتاج إليه لننطلق إلى الميدان.

نظر إليها مرة أُخرى بحُبٍ،وتعانقت أيديهُما وهما يدلفان إلى ذلك الماركت الشهير.

(١٢)

انطلقت مجموعة من المتظاهرين، بدأت بعدة أفراد في الاتجاه إلى وزارة الداخلية يتزعمهم أحد أفراد (جماعة إبريل) وهو يهتف وقد حمله أحدهم على كتفيه:

- أمن الدولة يا أمن الدولة ..... فين الأمن وفين الدولة.

وانطلقت أصوات المجموعة حوله بنفس الهتاف، ومجموعة كبيرة من المتظاهرين، وفِئات مختلفة من الشعب المصري تنضم إليهم، وهم يهتفون في حماس شديد مُنطلقين من ميدان التحرير إلى شارع التحرير مع استمرار الهُتاف ضد الداخلية:

- يا حُرية فينك فينك .....الداخلية بيني وبينك.

وتزداد الأصوات عُلوًا، وتزداد الجماهير أعدادًا، وهم يقطعون الشارع رويدًا رويدًا، حتى وصلوا إلى شارع يوسف الجندى، فانعطفوا إليه، والشاب المرفوع على الأعناق والمنتمي إلى (جماعة إبريل) يهتف بحماسٍ شديدٍ:

- قوم يا شعب وقول الحق ..... قول للظالم مرة لأ.

وخرج القاطنون حولهم إلى الشرفات، وهم يهتفون معهم بحرارة شديدة:

- قوم يا شعب وقول الحق ..... قول للظالم مرة لأ.

واستمرت المسيرة وهى تزداد عددًا، حتى وصلوا إلى شارع محمد محمود، فانعطفوا إليه يسارًا مُتجهين إلى شارع منصور ومنه إلى شارع ريحان حيثُ تقبع

وزارة الداخلية وقد اصطف أمامها جمعٌ غفيرٌ من الجنود والعربات المصفحة، كما ظهر للعيان عددٌ كبيرٌ من القناصة مُنتشرين فوق سطح الوزارة وكذلك في عدد من النوافذ المُطلة على شارع ريحان وشارع منصور، وأشار الشاب المحمول على الأعناق إلى أحد الشباب أن يصعد مكانه للهُتاف بدلًا منه حتى يستطيع أن يُريح صوته قليلًا، وبالفعل تم تبادُل المكان مع الشاب الجديد الذي راح يهتِف في حماس:

- علِّي وعلِّي وعلِّي الصوت ، إللى هايهتف مش هايموت.

وانطلقت الجماهير حوله، يصرخون بالهُتاف، وهم يضربون الأرض بأقدامهم، لتزلزل المكان حولهم،في حين انطلق الشاب المُنتمى لـ (جماعة إبريل) عكس اتجاههم، ومعه أصدقاؤه المنتمون لنفس الجماعة، حتى وصلوا إلى ميدان التحرير مرة أُخرى، وتركوا المتظاهرين أمام وزارة الداخلية لكي يواجهوا المصير الأسود مع رجال الداخلية والجيش وقناصاتهم المتربصين لأي هجوم عليهم لكي يُطلقوا النيران فورًا، فلا مِزاح أبدًا مع من يُريد الاستيلاء على مبنى الوزارة.

وانطلقت أولًا قنابل الدُخان لمحاولة تفريق المتظاهرين ولكنهم تراجعوا قليلًا، ثُم تقدموا مرة أُخرى في اتجاه الوزارة، فلم يتوان رجال الشرطة عن إطلاق القنابل المسيلة للدموع،

وانفلتت أعصاب أحد الضباط فقام بإطلاق النيران الحية على المتظاهرين، كان ذلك كالشرارة التى انطلقت لتجعل المتظاهرين يقومون بالهجوم على الوزارة وهم يهتفون بأعلى أصواتهم:

- تحيا مصر..... تحيا مصر.

وفي الوقت نفسه كانت المجموعة المنطلقة إلى مجلس الشعب، قد وصلت أمام المجلس وراحت تهتف، وأعضاء (جماعة إبريل) ينسحبون منها تاركين المتظاهرين لمصيرهم المجهول بعد أن أشعلوا حماسهم لاقتحام المجلس والسيطرة عليه.

وانطلق أعضاء (جماعة إبريل) إلى ميدان التحرير مُتجهين إلى ناحية ميدان عبد المنعم رياض، يتقدمهم كل من يحمل سلاحًا لمُحاولة اختراق حصارالجيش بعد أن انطلقت مجموعة من المدرعات والدبابات، لمؤازرة المتواجدين عند وزارة الداخلية ومجلس الشعب لحمايتهما.

وبالفعل أخرج أعضاء (جماعة إبريل) أسلحتهم للبدء في المواجهة مع رجال الجيش وقبل أن تنطلق رُصاصة واحدة منهم حدثت المُفاجأة.

(١٣)

فجأة انطلقت قنابل الدخان والقنابل المسيلة للدموع في كل مكان. وأخذت سيارات الشرطة المدرعة تنطلق في كل صوبٍ وهي تطلق قنابلها في كل اتجاه. وكذلك أطلقت سيارات المياه شديدة الإندفاع المياه على المتظاهرين. فلم يخلُ مكان واحد من ميدان التحرير من تلك المشاهد.

وانطلق المتظاهرون في كل صوبٍ واتجاه للفرار من ذلك الجحيم الذي فُتح عليهم فجأة. فقد اشترك الدخان والغاز وكذلك المياه المندفعة بشدة في فقدان الجميع لصوابهم، إما بسبب الاختناق، أو التهاب أعينهم الشديد من الغازات، أو سقوطهم متخبطين بسبب المياه التي أغرقتهم.

لم يكن هناك أي سبيل للفرار من ذلك الجحيم؛ فالزحام شديد جدًا والشرطة تحاصرهم من كل اتجاه، وعندما حاولوا الاتصال بأصدقائهم، وجدوا كل خطوط الاتصالات مقطوعة.

لم يكن قد تبقى على صلاة الجمعة سوى أقل من نصف الساعة، وكان الميدان في حالة من الهدوء النسبي بعد المعركة الطاحنة التي حدثت أمس الخميس أيضًا. ولكن اليوم كان مختلفًا تمامًا، فالشرطة كانت قد انتشرت في كل مكان، ولم يكن هناك طريق واحد سوى الاستسلام أو الفرار من الميدان بأي شكل أو أي وسيلة، حتى اضطر بعض الثوار لأن يقفزوا في نهر النيل من فوق كوبري قصر النيل بعد أن تم حصارهم عليه وغلقه بقوات الشرطة من الناحيتين. وحتى المستشفيات الميدانية لم تسلم من كل هذه الفوضى.

حاول البعض التماسك، ولكنهم لم يستطيعوا، فقد كانت الهجمات أعنف كثيرًا من هجمات الأمس، واستخدمت الشرطة كمًّا مهولًا من القنابل والرصاصات المطاطية وكذلك الخرطوش، ولم يسلم مكان واحد من الميدان.

ولكن!!.

في إحدى الزوايا من ميدان التحرير، كان هناك عددٌ من الشباب قد عقدوا العزم على المقاومة مهما كانت النتيجة، ولو أدى الأمر إلى استشهادهم جميعًا، كان استعدادهم لمواجهة ما يحدث بعزيمةٍ لا تنكسر، وقد جهزوا أنفسهم تمامًا بما يلزم بعد أحداث ليلة الخميس.

فقد كمم كل منهم أنفه وفمه بقطعة من القماش المبللة بالخل حتى لا يتأثروا بالقنابل الدخانية، وارتدى كلٍ منهم نظارة من نظارات الغطس تحت الماء، وانطلقوا وكأنهم قد حددوا سلفًا ما هم فاعلوه.

كانوا خمسة من الأصدقاء القدامى، انطلقوا وكل منهم يحمل في يديه زجاجتين من المولوتوف وفي حقيبة ظهره عدد كبير منها كذلك، انطلقوا صوب سيارات الشرطة المدرعة، والتي يظهر من الفتحة العلوية لكل منها أحد الجنود وهو يطلق من مدفعه الصغير قنابل الدخان أو القنابل المسيلة للدموع والبعض الآخر يُطلق طلقات الخرطوش أو الطلقات المطاطية.

وانطلق الشباب الخمسة كل في اتجاه إحدى المدرعات وأسرعوا بإشعال قنابل المولوتوف وقذفها كل منهم على الجنود المعتلين للمدرعات لتشتعل فيهم النيران فجأة، فتقف السيارات المدرعة ليقفز من بداخلها إلى الخارج بعدما سقط الجنود المحترقون وسطهم.

وأسرع الشباب إلى خمس سياراتٍ أخرى ليفعلوا بها نفس الأمروعندما شاهد من حولهم من الثوار ما يحدث، هرعوا جميعًا لمساعدة هؤلاء الشبان، وتناولوا منهم عددًا من زجاجات المولوتوف وهكذا بدأت حرب الحرية في ميدان التحرير.

ولم يكن المشهد يختلف كثيرًا أعلى كوبري قصر النيل، حيث استطاع أحد الشباب القفزفوق إحدى السيارات المدرعة والاستيلاء على سلاح الجندي والذي كان يطلق من خلاله قنابل الدخان وأطلق بداخل السيارة إحدى القنابل ليقفز منها كل من فيها وهكذا كان الغضب قد حل على الثواربعدما شاهدوا ما تفعله الشرطة منذ الأمس.

وانطلقت الثورة لتعم جميع أنحاء الوطن بعدما خرج الكثيرون إلى الشوارع بعد مشاهدتهم تصاعد الأحداث في ميدان التحرير.

وأسرع (هادي) إلى حيث ترك (هالة) بداخل المستشفى الميداني لكي يطمئن عليها بعد أحداث الليلة السابقة. ثم انطلق مرة أخرى مع زملائه بعد التزود بعدد آخر من قنابل المولوتوف، وراحوا يوزعون بعضها على الثوار ويلقون بالبعض الآخرعلى سيارات الشرطة بجميع أنواعها.

واستمر الهرج والمرج في ميدان التحرير، حتى الساعة الثالثة عصرًا تقريبًا. وفجأة انسحبت قوات الشرطة من الميدان تمامًا، وكذلك من جميع ميادين وشوارع مصر. وبدأت قوات الجيش تظهرفي أنحاء البلاد، وعمت الفرحة جميع الثوار في كل الميادين وفي كل الأنحاء، وحتى المواطنون المتواجدون في

منازلهم، اعترتهم الفرحة العارمة، وراح جميع من في الميادين يحتفلون ويستقبلون قوات الجيش بالغناء ويرحبون بهم أيما ترحاب وبعضهم يقول:

- هذا فعلاً ما نريده. لا نريد قوات الشرطة التى تتعامل معنا وكأننا حيوانات، بل هذا هو جيشنا، هؤلاء هم أهلنا الحقيقيون.

وانطلقت من بعض العربات المدرعة للجيش أصوات الميكروفونات لكي تُطمئن أبناء الشعب المصري، بأن الجيش هو الشعب، وأنهم تواجدوا فقط لكي يحافظوا على أمن البلاد بعد انسحاب الشرطة وأنهم لا دخل لهم بالسياسة ولن يتدخلوا مع الثوار، فليفعل الثوار ما يشاءون وليستمروا في اعتصامهم كما يشاءون، وسوف يقوم الجيش بحمايتهم على ألا تعُم الفوضى بين المتظاهرين وألا يحاولوا الاعتداء على أيٍ من الممتلكات العامة أو الخاصة. وإذا احتاج المتظاهرون لأي شيء من طعام أو شراب فسوف يوفر لهم الجيش ما يحتاجونه.

كانت فرحة المتظاهرين لا توصف، وانطلق (هادي) مرة أخرى بعد استقرار الأمن في الميدان، وكان الليل قد أرخى سدوله على أرض مصر. انطلق إلى حيث ترك (هالة) في المستشفى الميداني ليجدها قد أفاقت من إغمائها بعد تعرضها مرة أخرى لقنابل الدخان، فانطلقا معًا إلى خارج المستشفى الميداني ولكن قبل أن يبتعدا توقفت (هالة) وأمسكت بيد (هادي) في قوة وقالت:

- (هادي) هناك شيء خطيرٌ جدًا يحدث في الميدان، ولابد أن نقوم بتحذير الشرطة.

نظر إليها (هادي) بدهشة سائلًا:

- ماهذا الشيء؟ ما الذي يحدث بالضبط؟

تلفتت حولها ثم قالت هامسة:

- هناك بعض الأشخاص يحاولون تفجير الميدان بمن فيه.

قطب (هادي) جبينه في دهشة وغضب وهو يقول:

- من هؤلاء المجرمون الذين يريدون ذلك؟

أشارت (هالة) إلى المستشفى الميداني وقالت:

- إحدى الفتيات موجودة بالداخل للعلاج وقد زل لسانها بالحديث وهى فاقدة الوعي ولم يلتفت إليها أحد سواي لأنها كانت بجواري ولم يسمعها غيري.

تطلع (هادي) إلى المستشفى الميداني مرة أخرى، ثم جذب (هالة) من يدها وهو يدلف إلى داخل الخيمة الكبيرة المخصصة كمستشفى ميداني وقال لها وهو يتطلع حوله:

- من هى تلك الفتاة؟

أشارت إلى إحدى الفتيات الراقدات على الأرض، بجوار المكان الذي كانت ترقد فيه (هالة) فأسرع (هادي) إلى الفتاة التي كانت قد بدأت في استعادة وعيها وقام بمساعدتها مع (هالة) حتى تستطيع الوقوف على قدميها وهو يسألها قائلاً:

- كيف حالك الآن؟ هل تستطيعين السير حتى مكان التجمع الخاص بك؟

أشارت الفتاة برأسها أن نعم وتوكأت على كتف (هالة) وهى تسير مترنحة قليلاً. وما إن خرجت من المستشفى الميداني ووجدت الهرج والمرج وقوات الجيش حتى سألت مندهشة:

- ما هذا الذي يحدث؟ وماذا حدث اليوم؟

فقال لها (هادي) شارحًا:

- لقد انسحبت قوات الشرطة من الميدان، وحضرت قوات الجيش بدلاً منها.

ارتسمت نظرة دهشة وهى تقول:

- الشرطة انسحبت! وماذا عن الاتصالات؟

أجابها (هادي):

- كما هى، لا توجد أي اتصالات في أنحاء الميدان.

ظهرت خيبة الأمل على وجه الفتاة، وهى تُشير إلى خيمة بعيدة نسبيًّا، وتطلب منهما التوجه إليها.

وما إن وصلوا إليها حتى شكرتهما الفتاة ثم اندفعت إلى داخل الخيمة.

وبمجرد أن توارت عنهما الفتاة حتى أسرعا إلى إحدى عربات الجيش ليطلبا مقابلة أحد الضباط، وبمجرد أن حضر إليهما ضابط الجيش وكان برتبة عقيد حتى أسرع (هادي) بتحيته وهو يقول بلهجة تشف عن خطورة الأمر:

- سيدي. يبدو أن هناك محاولة لعمل تفجيرات في الميدان.

تطلع إليه عقيد الجيش بنظرة ذاهلة ثم زوى ما بين عينيه وهو يقول:

- وكيف عرفت هذا؟

شرح له (هادي) ما حدث من الفتاة وما سمعته (هالة) فأسرع الضابط بالتحدث في جهاز اللاسلكي بكلمات لم يسمعها أحدهما وفجأة انشقت الأرض عن أكثر من خمسة عشر جنديًّا ملثما يرتدون زيًّا أسود اللون واصطفوا

صفًا واحدًا أمام العقيد وأدوا التحية العسكرية قبل أن يتقدم أكبرهم رتبة إلى العقيد وهو يقول بلهجة صارمة حازمة:

- أمرك يا سيدي.

أشار العقيد إلى (هادي) و(هالة) قائلًا:

- سوف تذهب مع هذين الشابين إلى المكان الذي سيخبرانك عنه وتحضر لي كل من يتواجد في المكان ولتحذر مع رجالك فقد يكونون مسلحين.

حياه الضابط ذو القناع تحية عسكرية ثم نظر إلى (هادي) و(هالة) وانطلقوا جميعا إلى حيث الخيمة التي دخلتها الفتاة.. خيمة الرفاق.

(١٤)

انطلق مساعد وزير الداخلية للأمن العام مسرعًا إلى مكتب وزير الداخلية وولجه بعنفٍ ليلتفت إليه وزير الداخلية بسرعة وقد التقطت يمناه مسدسه في سرعة وخفة ليصوبه في اتجاه الداخل، ثم لم يلبث أن أرخى يده وهو يقول في حدة:

- ما هذا الذى فعلته يا رجل؟ لقد كدت أن أقتلك!

نظر إليه اللواء مدير الأمن العام وهو يقول:

- آسف سيدي الوزير، ولكن البلد مشتعلة بالفعل. والشرطة تحاول السيطرة على الوضع ولكننا لا نستطيع، ولقد قمنا بتنفيذ الخطة (ألِف)، ولكن يبدو أنها لن تنجح؛ فالثوار قد استطاعوا السيطرة على عدد كبير من المدرعات وسيارات الشرطة وقاموا بإشعال النيران فيها بالفعل.

صمت قليلا ليبتلع ريقه قبل أن يكمل قائلاً:

- هل تعلم ياسيدى، لقد فقدنا أكثر من (١٠٠٠) سيارة ومدرعة اليوم فقط، حتى الجنود في الميادين قاموا بإلقاء أسلحتهم ونزع ملابسهم الميري عنهم لكي يستطيعوا السير في الشوارع.

سكت مدير الأمن العام مرة أخرى قبل أن يقول متسائلاً:

- سيدي الوزير ماذا نفعل؟

ظهرت خيبة الأمل والحسرة على وزير الداخلية وهو يقول:

- فلتنسحب الشرطة من جميع الأماكن في مصر كلها، وليذهبوا إلى منازلهم ولا يخرجوا منها حتى إشعار آخر.

صمت قليلاً قبل أن يسترسل قائلاً:

- وهذا الأمر لا ينطبق على من يتواجدون في الوزارة، أو أقسام ونقاط الشرطة، أو السجون، وكذلك حراسات السفارات والحدود، أما ما عدا ذلك فلا أريد أحدًا منهم في الشوارع حتى لا يصاب أحدهم بأذى.

صمت مرة أخرى وهو يشير إليه بالانصراف. وقبل أن يخرج من حجرة المكتب انطلق صوت الوزير عاليًا وهو يهتف:

- انتظر.

التفت مدير الأمن العام إلى الوزير مرة أخرى حيث قال الأخير في حدة:

- ولتأمر جميع من يتبقى في مكانه بالمحافظة على الأقسام والسجون والسفارات، فإذا حدث أي اعتداء لمحاولة اقتحام أي منها فليتم استخدام الرصاص الحي فورًا، فسقوط هذه الأماكن هو سقوط للدولة.

قال ذلك، وهو يشير إليه مرة أخرى بالانصراف، ويلتقط سماعة التليفون الأحمر، ليتصل برئيس الجمهورية لينبئه بخبر انسحاب الشرطة من المشهد تمامًا.

(١٥)

لم تكن رحلته سهلة أو هينة، فالانطلاق بسرعة تزيد على سرعة الضوء في مسارات وثقوب زمنية مختلفة كان أمرًا مرهقًا بحق.

هبط في صحراء مصر بجوار الأهرامات، جلس قليلًا على أحد الأحجار الكبيرة المتناثرة حول الهرم الأكبر، وتطلع إليه وهو يعجب من عظم بنائه وضخامته، وإن كان قد زفر في أسى وهو يتطلع إلى بعض الخراب الذي طال الأهرامات الثلاثة وكذلك جسد أبي الهول، وقارن بينها وبين نظرائها في كوكبه الأم، لم تكن هناك مقارنة أساسًا، فهناك كان الحفاظ على التراث والتاريخ هو الشغل الشاغل للعلماء، بالإضافة إلى المخترعات العلمية الحديثة، لكي يعيش البشر حياة رفاهية خالية من الكثير من المشاكل الصحية أو الاجتماعية، ولذا فقد كانت الأهرامات كأنها يوم بُنيت لا تزال على حالتها الأصلية.

قطع أفكاره مرور عدد من الصبية، ومعهم بعض الأحصنة، وروثها يُلوث الأرض، ولكنهم لا يبالون به، وذهب أحدهم إليه قائلاً:

- حصان يا أستاذ؟ تركب حصان بعشرين جنيه بس، قولت إيه يا أستاذ؟

نظر إليه باسمًا وأشار إليه أن لا، ثم رجع بذكرياته إلى كوكبه الأم، إلى تلك اللحظة التى استدعاه فيها رئيسه إلى مكتبه، فأسرع ليقود سيارته الرياضية، والتي لم يلمس أي شيء بها فعليًا، فما إن اقترب من السيارة حتى

مسافة صغيرة، فإذ بالباب يُفتح بهدوء، وما كاد يستقر داخلها، حتى تم إغلاق الباب بهدوء مرة أخرى، قبل أن ينطلق صوت أنثوي من كمبيوتر السيارة قائلًا:

- إلى أين تريد الذهاب يا سيدي؟

ابتسم بهدوء وقال:

- إلى حيث مكتب رئيس الجهاز مباشرةً.

وما كاد ينتهي من جملته، حتى ارتفعت السيارة ثمانية أمتار في الفضاء، وأخذت تطير في مسار محدد لها لا يمكن أن يتلاقى مع أي سيارة أخرى في العاصمة، وما هى إلا دقائق ثلاث، حتى ارتفعت السيارة في اتجاه عمودي إلى الأعلى، بجوار بناية تتكون من ثلاثين طابقًا، لتستقر فوقه بهدوء، في مكان محدد لها سلفًا، وما إن استقرت تمامًا حتى فُتح الباب وهبط (حسام) منها، ثم توقف على بُعد خُطوة واحدة منها، لتهبط به أرض المكان إلى الطابق الذي أسفله مباشرةً، ثم خطا عدة خطوات ليقف أمام حجرة مكتب رئيسه، وما إن استقر أمامها، حتى توقف ثابتًا، لينطلق شعاع أخضر اللون غمر جسده بأكمله لمدة ثلاث ثوانٍ، فُتح بعدها الباب مباشرةً ليلج إلى الداخل مُلقيًا التحية العسكرية إلى رئيسه الجالس خلف مكتبه، والذي أشار إليه بالجلوس وهو يقول:

- اجلس أيها الرائد (حسام)، فأمامك مهمة خطيرة جدًا قد يتوقف عليها مستقبلنا كله، ومستقبل الأرض الثانية كذلك.

تطلع إليه الرائد (حسام) في تحفز منتظرًا معرفة طبيعة مهمته الخطيرة تلك.

نظر القائد إلى الحائط الزجاجي الجانبي وأشار بيده ناحيته فتحول الحائط بأكمله إلى شاشة عملاقة ثلاثية الأبعاد وظهرت عليه مقاطع فيديو لمظاهرات حاشدة قبل أن تنقسم الشاشة إلى قسمين متساويين، استقر على أحد جزأيها ميدان شهير يعرفه جيدًا في العاصمة، وفي المشهد الآخر ميدان أيضًا ممتلئ عن آخره بالمتظاهرين كذلك ولكنه لا يعرف مكانه. فتطلع إلى قائده مستفسرًا فأشار القائد إلى الجزء الأول وقال:

- أنت تعرف هذا الميدان جيدًا يا (حسام). إنه ميدان النصرعندنا في العاصمة وهذا الفيديو يعود إلى ستين عامًا كاملةمضت عندما أرادت دولة (أمريكانيتا) الغربية تفتيت وتقسيم دول المنطقة الوسطى والتى نقع نحن فى مركزها وذلك لكي تنعم هى وحليفتها (إسرائيليتا) بأراضينا وخيراتنا. ولولا تيقظ رجال استخباراتنا لتلك الخطة المعقدة التي أعدوها، والسيطرة على أطرافها جميعًا، لكنا الآن دولة محتلة مفتتة بالفعل، ولكن إلهنا أراد لنا النجاة من تلك الخطة الجهنمية.

تطلع (حسام) إلى قائده وهو يحاول معرفة المغزى من هذا الحديث قبل أن يقول:

- حمدًا لله يا سيدي، ولولا ما حدث بالفعل ما كنا الآن من أكبر ثلاث جمهوريات في كوكبنا.

أومأ القائد برأسه مصدقًا على حديثه قبل أن يقول:

- أما الفيديو في الناحية الأخرى، فهو من الأرض الثانية، وبالتحديد فى ميدان يسمى بميدان التحرير في (مصر) نفس دولتنا في ذلك الكوكب البعيد مع

تغيير الاسم، فدولتنا ما زالت تحمل الاسم التاريخي لها (إيجيبتو)، في حين تغير اسم نظيرتنا هناك كما تغير الكثير من الأشياء.

نظر (حسام) إلى الشاشة الكبيرة محاولاً فهم ما يحدث، إنه يرى مظاهرات قديمة في دولته منذ حوالي ستين عامًا تقريبًا، كما يرى مظاهرات أخرى في الكوكب الثاني لا يدري متى حدثت ويحاول ربطهما بمهمته تلك الخطيرة والتي يتوقف عليها حاضر ومستقبل دولته، بل الكوكب بأكمله. ولكنه لم يستطع أن يجد رابطًا واحدًا بين كل هذه الأشياء، فحول نظره إلى قائده وقال مستفسرًا:

- وما هى طبيعة مهمتي أيها القائد؟

تطلع إليه القائد دقيقة كاملة صامتًا قبل أن يقول في نبرة جادة:

- مهمتك مزدوجة أيها الرائد وهى شديدة الحساسية والخطورة في نفس الوقت.

صمت القائد قليلًا قبل أن يقول:

- أنت تعلم أنه منذ اختراع وسيلة السفر عبر الزمن والفضاء وكذلك معرفتنا بوجود الكواكب الستة الأخرى التى تشبه كوكبنا في كل شيء ولكن تختلف معه في مراحل التطور الزمني، فقد قام (مجلس الأمم) لدينا بسن قوانين صارمة جدًا بشأن التعامل مع هذين الحدثين حتى لا يحدث أي خطأ أو إفساد للحياة في تلك الكواكب الستة، أو حتى في كوكبنا لو تم استغلال وسيلة السفر عبر الزمن بطريقة خاطئة. ولقد تم تجريم استخدام (آلة الزمن) للسفر

إلى الماضي إلا للمهمات البحثية فقط وتحت إشراف هيئة (مجلس الأمم) نفسها.

صمت القائد قليلاً ليلتقط أنفاسه في حين كان الرائد (حسام) متشوقًا لمعرفة الأحداث، ولكنه احترم صمت القائد الذي ما لبث أن قال:

- لقد علمنا من مصادرنا السرية في دولة (أمريكانيتا) الغربية، أنهم هناك سيرسلون رجلين في مهمتين مختلفتين ولكن نتيجة المهمتين ستكون وبالاً كبيرًا علينا هنا، وكذلك على دولتنا النظيرة في الكوكب الثاني.

صمت القائد لحظات قبل أن يشير إلى الشاشة مرة أخرى لتظهر صورتان لرجلين في الثلاثينيات من عمرهما شديدي الأناقة أحدهما له شارب صغيرولحية صغيرة أسفل ذقنه، قبل أن يقول القائد:

- من المؤكد أنك تعرفهما. أليس كذلك؟

أومأ الرائد (حسام) برأسه أن نعم وقال:

- بالتأكيد يا سيدي، هذا الوسيم ذو اللحية والشارب هو (دونالد) أخطر وأشرس رجال الاستخبارات في (أمريكانيتا) والثاني كذلك والمدعو (جيمس) لا يقل عنه خطورة أبدًا.

التفت القائد إلى الرائد (حسام) وقال:

- جيد يا (حسام). ولكن للأسف لا يوجد غيرك يستطيع التصدي لهما وكذلك النصر عليهما.

- سيدي؟!

قالها (حسام) وصمت قليلاً لجذب انتباه قائده الذي تطلع إليه مستفسرًا قبل أن يكمل (حسام) حديثه قائلاً:

- ما هى طبيعة المهمة المزدوجة تلك يا سيدي؟

حاول القائد الابتسام ولكنه لم يفلح في ذلك فقال:

- سوف يتم إرسال (دونالد) إلى الماضي في كوكبنا، لمهمة سيكون لها تأثير سيء تمامًا على دولتنا، لجعلها تنهار، حتى لا نكون في مصاف الدول العظمى كما نحن الآن، لتسيطر (أمريكانيتا) على الكوكب تمامًا. ومن المؤكد أنهم سيستغلون أحداث الثورة في مهمتهم هذه، وللأسف فنحن لا نعلم أي شيء عن هذه المهمة.

ثم تنهد القائد بصوتٍ عالٍ قبل أن يستطرد قائلاً:

- أما (جيمس) فسوف يتم إرساله إلى (مصر) في الكوكب الثاني وذلك لكي يتم تنفيذ نفس المخطط وتفتيت الدولة هناك وخصوصًا جيشها لتحتلها (إسرائيل) و (أمريكا) وتسيطر عليها سيطرة كاملة كما فعلت (أمريكا) في (العراق) و (ليبيا) و (اليمن) هناك.

تطلع (حسام) إلى قائده وقال بدهشة شديدة:

- يا إلهي. وكيف خطرت هذه الخطة الشيطانية عليهم؟

تبدى الأسف على وجه القائد وهو يقول:

- الطمع يا (حسام)، الطمع في مقدرات وثروات الشعوب. إن نجاح هذه المخططات كفيل بمحو ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا تمامًا، فنحن لا ندري ما الذي سيحدث بالفعل لو نجحت (أمريكانيتا) في مخططها، فمن الممكن ألا

نتواجد نحن أصلاً في مجرى التاريخ والأحداث. ومن الممكن أن نصبح عبيدًا عند (أمريكانيتا) كما فعلت في الماضي كما تعلم من التاريخ عندما استعبدت (القارة الأوروناسية) كلها. ولذا فلابد من منع هذا المخطط تمامًا وليس هذا فقط بل وفضح (أمريكانيتا) أمام الكوكب بأكمله وحظرها تمامًا في المستقبل من استخدام تقنية السفر عبر الزمن.

أومأ الرائد (حسام) برأسه مؤمنًا وقال في حماس شديد:

- سنفعل ذلك يا سيدي، ما دمنا نعمل للخير ولصالح الكوكب بأكمله، فأعتقد أن إلهنا سيكون معنا ويوفقنا في مهمتنا.

ثم صمت قليلاً قبل أن يقول:

- ومتى سوف أتحرك سيدي القائد؟

استدار القائد ناحيته وقال منهيًا الحوار:

- فلتكن مستعدًا أيها الرائد في أي وقت من ليلٍ أو نهار. فعندما تأتينا الإشارة من عميلنا هناك فسوف نبلغك على الفور، والإشارة هى التي ستحدد بأي المهمتين سوف تبدأ. مهمة إنقاذ كوكبنا أو إنقاذ الكوكب الثاني.. كوكب الأرض.

هز الرائد (حسام) رأسه متفهمًا وهبَّ من مقعده وأدى التحية العسكرية للقائد قبل أن يقول:

- إنني مستعد منذ هذه اللحظة يا سيدي، ولتدعُ لي بالتوفيق.

قال ذلك ثم استدار ناحية الباب ليخرج ويعود الباب ليُغلق خلفه.

ابتسم (حسام) وهو ينطلق من جوار الأهرامات إلى الطريق الرئيسي ليشير إلى سيارة أجرة (تاكسى) وعندما استقر في مقعده قال للسائق:

- أقرب مكان إلى (الميدان).

فنظر إليه السائق مستغربًا وهو يقول:

- أي ميدان يا سيدى؟ فالبلد كلها ميادين.

ابتسم (حسام) وقال:

- سامحنى. أقصد أقرب مكان إلى ميدان التحرير.

بادله السائق الابتسام وهو ينطلق بسيارته قائلًا:

- لا يبدو عليك أنك شابٌ طائش مثل أولئك المتواجدين في الميدان هناك. أنت لا تعلم يا سيدي فهذا هو يومنا الثاني والذى أصبح العمل فيه من الصعوبة بمكان. فبسبب المتواجدين هناك في الميدان أصبحت الحركة في العاصمة شبه مستحيلة وخصوصًا بعد غلق طرق كثيرة كانت كلها تؤدي إلى ميدان التحرير. نظر إليه (حسام) وقال مطمئنًا:

- سيكون كل شيء على مايرام يا سيدي. أعدك بذلك.

قال هذا، وعادت به الذاكرة إلى ساعات قليلة مضت، وقد استقبل جهازه رسالة من قائده، تحدد له السفر حالاً إلى الكوكب الثاني، لبدء مهمته الأولى هناك، حيث انطلق (جيمس) إلى هناك بالفعل منذ ساعة واحدة، ولذا فقد أسرع إلى آلة الانتقال بين الكواكب الخاصة به، وانطلق بها في مهمته الأولى لإنقاذ الكوكب الثانى من براثن الأعداء وحتى لا يتغير التاريخ في ذلك الكوكب المسمى بكوكب الأرض وفي تلك الدولة والتي تسمى (مصر).

(١٦)

انطلق الرائد (حسام) يجوب ميدان التحرير والمناطق المحيطة به متحاشيًا بقدرالإمكان الاقتراب من تجمعات رجال الشرطة وهو يتطلع إلى ساعة يده كل دقيقة تقريبًا حيث تحولت شاشتها إلى جهاز رصد محاولاً أن يلتقط أي إشارة من أي جهاز مستقبلي لا يوجد له مثيل على هذا الكوكب لكي يحدد مكان تواجد (جيمس) في الميدان.

استغرق أكثر من ثلاث ساعات كاملة وهو يطوف في الميدان من مكان إلى آخر ويخترق الزحام الشديد ولكنه لم يُفلح في التقاط أي إشارة تحدد له مكان تواجد (جيمس). يومان كاملان يبحث فيهما عنه ولكنه لم يستطع أن يعثر له على أدنى أثر.

وفجأة انطلقت قنابل الدخان، والقنابل المسيلة للدموع، في سماء الميدان، لتتساقط على المتظاهرين من كل اتجاه، ونظر (حسام) إلى المباني التي اقتربت كثيرًا، وقرر التوجه إليها، وقبل أن يتحرك خُطوة واحدة، سمع دوي الرصاصات من حوله، لتلتقط عيناه عددًا من القناصة يعتلون أسطح بعض البنايات المطلة على ميدان التحرير، وهم يصوبون أسلحتهم إلى بعض المتواجدين في الميدان، فسارع بالضغط على أحد طرفي ياقة معطفه، لتحيط به هالة كهرومغناطيسية غير مرئية لمن حوله، ولكنها تحميه من طلقات الرصاص.

انطلق متوغلًا في الميدان، متجاهلاً ما يحدث حوله، ومحاولاً الوصول إلى إحدى البنايات ليستظل بها، حتى ينتهى إطلاق الرصاص ويقوم بإلغاء الهالة الكهرومغناطيسية والتي تمنع ساعته من التقاط أي إشارات من أجهزة (جيمس) الذي يبحث عنه، وعندما اقترب من أحد أطراف الميدان، إذا به يشاهد شابًا ينطلق بأقصى سرعته ثم يجذب إحدى الفتيات إلى الأرض، لتسقط الفتاة التي كانت خلفها، وقد اخترقت إحدى الرصاصات رأسها، وأسرع (حسام) إلى الفتاة التي سقطت، ولكنه وجدها قد فارقت الحياة، في حين أسرع الشاب الآخر بحمل الفتاة التي أسقطها أرضًا واتجه بها إلى إحدى الخيام وقد فقدت وعيها تمامًا بعدما امتلأت أرض الميدان وسماؤه بالدخان والغازات المسيلة للدموع بالإضافة إلى المياه والرصاصات التي راح دويها يخفت شيئًا فشيئًا بعدما تحول الميدان إلى ساحة حرب وقد سقط العديد من الشهداء والكثير من الجرحى وأكثرية من المختنقين من الدخان والغازات المسيلة للدموع.

ولم يستطع (حسام) الوقوف مكتوف اليدين كثيرًا فأسرع بإلغاء الهالة الكهرومغناطيسية المحيطة به، ثم أسرع بحمل أحد الشباب المصابين وتوجه به إلى حيث رأى الآخرين يتوجهون. حيث دخل إلى خيمة علم أنها تستخدم كمستشفى ميداني وظل أكثر من ساعة يقوم بنقل المصابين إلى داخل المستشفى الميداني والذي تكدس فيه المصابون والجرحى في كل مكان.

وبعدما أحس بأن الميدان قد بدأ في استعادة هدوئه مرة أخرى أسرع بتحويل شاشة ساعته إلى جهاز رصد مرة ثانية لإكمال مهمته في البحث عن

(جيمس). ولكنه مع مرور الوقت أيقن أنه غير متواجد بميدان التحرير أو حتى بالمناطق المحيطة به.

وانطلق عقله يفكر كيف يستطيع العثور عليه وهل سيبحث عنه في أرجاء مصر كلها. لقد كان متيقنًا من تواجده في الميدان ولذا كان لزامًا عليه أن يبحث فيه، ولكن أين يوجد الآن. هل يتواجد في الميدان بالفعل ولكنه تخلى عن كل ما يمت للمستقبل بصلة حتى إذا تبعه أحد لا يستطيع العثور عليه. أم أنه ليس في الميدان بالفعل.

لم يستطع التوصل إلى إجابة لسؤاله، وفجأة قطع عليه حبل أفكاره شخص ما وهو يربت على كتفه الأيمن من الخلف ويقول له:

- هيا بنا يا صديقي، إني أراك وحيدًا، فلتأت معنا لتستريح قليلاً وتتناول شيئًا من الطعام.

التفت (حسام) ليجده ذلك الشاب الذي أنقذ الفتاة من الموت وحملها إلى المستشفى الميداني، فابتسم (حسام) بمودة ومد يده للسلام عليه قائلاً:

- أنا (حسام)، وبالفعل أتواجد وحدي في الميدان.

ابتسم الشاب الآخر وهو يقول بعدما سلم عليه وجذبه ناحية باقي أصدقائه:

- وأنا (هادي). أتواجد مع أصدقائي منذ اليوم الأول للمظاهرات، ويسعدنا أن تنضم إلينا، فلقد شاهدتك وأنت تساهم في نقل المصابين إلى المستشفى الميداني ويبدو أنك قد بذلت مجهودًا كبيرًا بالفعل بالرغم من انتشار الدخان والغازات المسيلة للدموع في هواء الميدان بأكمله تقريبًا.

بادله (حسام) الابتسام وهو يلقي التحية على أصدقاء (هادي) وقال:

- إنه ثاني أيامي هنا في الميدان، لم أكن أعلم أن الأمور وصلت إلى ذلك الحد بالفعل، وأحمد الله أن استطعت أن أساهم في نقل بعض المصابين ولكن ما فعلته أنت بإنقاذك لتلك الفتاة كان عملاً بطوليًّا بالفعل.

ثم صمت قليلاً قبل أن يقول متسائلاً:

- وماذا عنها الآن؟ هل هى بخير؟

ابتسم (هادي) ابتسامة حزينة وهو يقول:

- الحمد لله هى بخير ولكنها مصابة بصدمة عصبية بعدما شاهدت اثنتين من زميلاتها وقد سقطتا شهيدتين أمامها. وما زالت في حالة إغماء، ولكن الأطباء في المستشفى الميداني طمأنوني عليها وأنها ستكون بخير وستفيق من الإغماء في المساء إن شاء الله.

ربت (حسام) على كتف (هادي) وهو يقول محاولاً الابتسام:

- حمدًا لله. وأرجو أن تكون بخير بالفعل؛ فيبدو أنها تَعُز عليك كثيرًا.

أجاب (هادي) وهو يمسح دمعة تسللت رغمًا عنه من عينيه: -

-إنها كذلك بالفعل، أو فلتعتبر أنها حياتي كلها بالرغم من أنها لا تعلم عني شيء.

تطلع إليه (حسام) مندهشًا ولكن قبل أن يعلق بحرف أشار إليه (هادي) قائلاً:

- (حسام). فلنتناول شيئًا من الطعام والشراب وسوف أحكي لك كل شيء بالتفصيل، ولكن بعد أن أطمئن عليها أولاً.

ابتسم (حسام) وهو يتطلع إلى (هادي) وقد علم أن الفتى عاشق حتى النخاع.

(١٧)

- ستكون وحدك تمامًا. لن تستطيع طلب المساعدة، ستنقطع الاتصالات بيننا تمامًا. كان الله في عونك في مهمتك هذه.

استعاد (حسام) آخر ما قاله له قائده قبل أن ينطلق في رحلته إلى كوكب الأرض.

هو يعلم تمامًا أن المسافة الشاسعة التي تفصله عن كوكبه لن تمكنه من الاتصال به، ولا معرفة تطورات الأحداث هناك، ولذا فلابد أن يعتمد على نفسه وعلى عقله فقط. إن مهمته في كوكب الأرض قد تفشل فشلًا ذريعًا إن لم يستطع أن يجد (جيمس). إنه لم يترك شبرًا واحدًا في ميدان التحرير والمنطقة المحيطة به لم يبحث فيه خلال الأيام الثلاثة السابقة، وهو متأكد تمامًا من عدم وجوده في الميدان، فأين يمكن أن يجده، لم يبق أمامه سوى حل واحد فقط ولكنه سيستهلك نصف الطاقة التي لديه بالفعل، ولكن يبدو أنه هو الأمل الأخير .ولكن .....

وفجأة قطع أفكاره نداء من (هادي) يخبره بأنه سيذهب إلى بيته لقضاء الليل هناك بعد توصيل (هالة) إلى بيتها. فتطلع إليه (حسام) برهة قبل أن يسأله محرجًا:

- (هادي)، هل أستطيع الذهاب معك؟ فأنا لم أغير ثيابي منذ أكثر منذ ثلاثة أيام كما تعلم ولن أستطيع السفر إلى (الإسكندرية) في هذه الظروف فأ.....

أسرع (هادي) بقطع حديثه بإشارة من يده قائلًا:

- بالطبع يا صديقي. وأنا آسف جدًا فكان يجب أن أدعوك أنا لذلك ولكن أنت تعلم أن سعادتي بعودة (هالة) إلى حالتها الطبيعية أنستني كل شيء. ولذا فأنت تستطيع الذهاب معي إلى منزلي وقضاء الليل معنا كذلك ولكن للأسف لا توجد لدي ثياب مقاسك.

قال ذلك وانفجر ضاحكًا ليشاركه (حسام) الضحك على دُعابته.

وانطلق ثلاثتهم من ميدان التحرير سيرًا على الأقدام إلى حيث حي المهندسين مخترقين كوبري قصر النيل والجلاء و (حسام) يسأل (هادي) و(هالة) عن كل ما حوله حتى وصلوا إلى فيلا (هالة) فودعاها وانطلقا إلى حيث فيلا (هادي) ولم تصادفهم أي متاعب طوال الطريق، فبالرغم من وجود حظر التجوال إلا أن (قوات الجيش) كانت متساهلة تمامًا مع المواطنين السائرين على الأقدام عكس هؤلاء المستقلين للسيارات، فلم تكن تسمح بسير السيارات إلا لمن يحمل تصريحًا أو أحد الأطباء أو الصحفيين فقط أما خلاف ذلك فلم تكن تتساهل معهم أبدًا.

استقبل والدي(هادي)، (حسام) بترحاب وحفاوة شديدين، وكانت (لميس) أخت (هادي) الكبرى تهبط من أعلى فقَدّمها (هادي) إلى (حسام) الذي رفع رأسه ونظر إليها وما إن التقت عيناهما حتى توقف الزمن، وعندما تلامست كفاهما سرى بينهما تيارٌكهربي جعلهما ينتفضان في دهشةٍ وذهول.

ما هذا الذي يحدث لهما. تسارعت الأفكار في عقل (لميس) وهي تسحب يدها من بين يدي (حسام) قبل أن تهرول إلى الداخل حيث حجرة تحضير الطعام، وقد غمرت جسدها حرارة شديدة جعلتها تحس وكأنها تحترق داخليًا ولكنه كان حريقًا

مبهجًا، حريقًا أمدها بلذة وبهجة. هل من الممكن أن يحدث هذا بالفعل؟! هي لا تصدق، لا.. لا.. مستحيل! إن صديقاتها يتغامزن عليها دومًا بأنها لا قلب لها، وبأنها لن تتزوج على الإطلاق، ولا تتعامل مع الجنس الآخر إلا بكل برود وخيلاء، تتعالى على الجميع من الشباب، حتى زملاؤها، فهل من الممكن أن يحدث لها ذلك؟ هل يمكن أن تقع في الحب؟ ومن هذا الشخص الذي لا تعرفه ولم تره إلا لحظات قليلة، هل هذا ما يقولون عنه إنه الحب من النظرة الأولى؟! لا. هي لا تعترف بهذا الهراء، ولكن.. بماذا تفسر ما حدث لها؟ بل ليس لها وحدها، لقد أحست به كذلك في هذا الـ .... ماذا؟ إنّها لم تسمع حتى اسمه، فما إن تلاقت أعينهما حتى غابا عما حولهما تمامًا، لقد أحست بأنه قد اعتراه ما اعتراها ولكن...

- (لميس).

انطلق صوت والدتها من خلفها لينتفض جسدها في شدة وتسقط مجموعة من الأطباق من يدها متحطمة على الأرض، وتنطلق صرخة رعب منها ليُسرع (هادي) ووالده إلى الداخل ليستطلعا ما حدث في حين ظل (حسام) في مقعده وقد علت وجهه ابتسامة كبيرة، فهو يعلم تمامًا ما حدث لها، نظرة عينيها في عينيه، وذلك التيار الكهربي الذي سرى بينهما عندما تلامسا، قالا كل ما يمكن أن يُقال، بل قالا كل ما لا يمكن أن يُقال كذلك، فلا كلمات يمكنها أن تصف ما حدث ولا كيف حدث، وللعجب يحدث له هو، هو من نذر نفسه للعمل ولا شيء غير العمل، وخوض المعارك والصراعات لنصرة الحق، إذ به يجد نفسه فجأة

هكذا، يبدو أن قلبه قد تحرك أخيرًا، لا.. لا.. هو لم يتحرك.. لقد قفز من صدره متخطيًا كل الحواجز ليستقر هناك بجوار قلبها... قلب (لميس).

انتبه (حسام) من أفكاره على صوت (هادي) وهو يضحك ومعه أبوه وهما يخرجان عليه من حجرة إعداد الطعام، و(هادي) يقول مازحًا:

- يبدو أن (لميس) قد رأت فأرًا في الداخل.

رد عليه أبوه قائلًا وما زالت الابتسامة تعلو وجهه:

- كلا.. كلا.. يبدو أنها كانت هائمة، تفكر بمن تُحب عندما فاجأتها والدتها بالدخول عليها.

ارتفعت ضحكات (هادي) عاليًا وهو يشير بيديه نافيًا حديث والده ويقول: - لا.. لا.. (لميس) تُحب!! يبدو أنك لا تعرف ابنتك جيدًا يا أبي، أو أنها شخصًا آخر غير من أعرفها أنا.

وظل الحوار دائرًا بينهم متشعبًا حتى تم إعداد مائدة الطعام. والتف الجميع حولها ليحمد (حسام) ربه لأن (لميس) كانت تجلس أمامه تمامًا وقد ركزت عينيها في طعامها واحمر وجهها حتى أضحى بلون الدم.

وتناول الجميع طعامهم وهم يتناقشون في أحداث ذلك اليوم العصيب، وكيف انتهى نهاية سعيدة بهروب الشرطة من الميدان تمامًا بل ومن جميع ميادين وشوارع مصر وظهور رجال القوات المسلحة وانتشارهم في البلاد، ثم كيف ظهر البلطجية في نفس وقت انسحاب الشرطة وسرقوا كل ما يمكن سرقته من المحال التجارية الكبيرة وأغلب المولات، وكيف أصدر الرئيس قرارًا بحظر التجوال، وهل هذا القرار في صالح المتظاهرين أم ضدهم، وكيف قام

رجال القوات المسلحة بالتساهل في تطبيق قرار حظر التجوال مع الأفراد المرتجلين وذلك لحماية الثورة وشبابها.

كان الحوار ما زال دائرًا بعد انتهائهم من تناول الطعام، و(حسام) لم يرفع عينيه عن لميس محاولًا النظر إلى عينيها مرة أخرى، وفي نفس الوقت محاولًا ألا يلاحظ أحدٌ ما يفعل. ولكنها لم ترفع رأسها لتتطلع إليه مرة أخرى، بل ظلت طوال الوقت تتعامل وعيناها تتشاغلان عنه في أي شيء آخر، حتى عندما تتحدث معه أو تُقدم له أي شيء كانت تتجنب عينيه تمامًا.

وقال والد (هادي) وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدية ويقول متسائلًا:

- كيف ترون ما حدث اليوم من القوات المسلحة. هل ما حدث يعد إنقلابًا عسكريًا على الرئيس أم ماذا؟

قطب (هادي) جبينه ثم زوى ما بين عينيه وهو يقول مندهشًا:

- ولماذا تفكر في ذلك يا أبي؟. لا أعتقد أن هذا إنقلابًا عسكريًا وإلا لكان الجيش قد احتل القصر الجمهوري بالفعل وألقى القبض على الرئيس. أليس كذلك؟.

ابتسم أبيه وهو يتطلع إلى (حسام) الغارق في خواطره وفي مراقبة (لميس) وقال موجهًا حديثه إليه:

- ما رأيك أنت يا (حسام) بهذا الموضوع؟.

انتبه (حسام) ونظر ناحية والد (هادي) وقال متسائلًا:

- أي موضوعٍ يا سيدي؟ اعذرني فيبدوا أنني قد شردت قليلًا.

ابتسم والد (هادي) مرة أخرى ابتسامة ذات مغزى قبل أن يقول مرة أخرى:

- هل تعتقد أن ما حدث من القوات المسلحة اليوم إنقلابًا على الرئيس أم لا؟.

تطلع (حسام) إلى والد (هادي) وعلت وجهه علامات تفكير عميق قبل أن يقول:

- ان ما حدث من اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة بدون القائد الأعلى وهو الرئيس يُعد نوعًا من أنواع التذمر والإعتراض على الأحداث وسيرها في الدولة ولكنه لا يُعد انقلابًا عسكريًا.

واستمر الحوار سجالًا حتى الواحدة بعد منتصف الليل فاستأذن (هادي) و(حسام) للصعود إلى الأعلى للنوم، واستعار (هادي) من والده ملابس للنوم لـ (حسام) ، في حين أعطى (حسام) ملابسه لـ (لميس) كي تقوم بتنظيفها. وبعد الاستحمام استلقى (هادي) و(حسام) على الفراش ليخلدا إلى النوم بعد يوم شاق وطويل.

ظل (حسام) يتقلب في الفراش وعقله يعمل كأنه جهاز كمبيوتر حديث. كانت الأفكار تتصارع في رأسه بين التفكير في مهمته المصيرية بالنسبة لكوكبه وكذلك كوكب الأرض، والتفكير في (لميس) التي ظهرت في وقتٍ لم يكن في الحسبان أصلًا.

وعندما وجد نفسه لا يستطيع النوم، غادر فراشه داخلًا إلى (الفراندة) الملحقة بغرفة (هادي) وجلس على أحد المقاعد وهو يتطلع إلى (القمر) الذى كاد أن يُصبح بدرًا، وسبح بأفكاره في تلك المهمة المعقدة.. لقد قاربت مهلة تواجده في ذلك الكوكب على الانتهاء. هو يعلم تمامًا أنه لن يستطيع المكوث فى ذلك الكوكب أكثر من أسبوع ولابد أن يعود إلى كوكبه للتزود بالطاقة، وكذلك المعلومات.

ولقد مرت ثلاثة أيام كاملة وها هو في اليوم الرابع الآن، فما هو السبيل لإنهاء مهمته بنجاح والعثور على المدعو (جيمس).

فجأة أحس بأن هناك من يراقبه، كان القمر يبدد الظلام نوعًا ما لذلك فقد استدار بوجهه ناحية اليسار بسرعة، ليجد (لميس) وقد أجفلت وهي ترجع إلى الخلف لكي تتوارى عن نظره، ولكنها اصطدمت بأحد المقاعد ليسقط محدثًا صوتًا عاليًا، نهض (حسام) من مقعده وتقدم ناحية الفراندة التي تقف فيها (لميس) وكانت قد تسمرت في مكانها عندما وقع المقعد على الأرض، ورفعت رأسها باتجاه (حسام) وهي تسمع صوت خطواته الخافت لتلتقي عيناهما مرةً أخرى، فتشعر بارتفاع حرارة جسدها وتحاول الفرار من نظراته ولكن جسدها لا يطاوعها على التحرك قيد أنملة، ليقترب منها (حسام) حتى يقف بينهما سور الفراندة حاجزًا قبل أن يهمس قائلًا:

- (لميس).

لم تستطع أن تفتح فاها للرد عليه، فلم يتحدث (حسام) ثانيةً، بل وضع يده اليمنى على يسراه ووضعهما على قلبه ليعلن حبه لها، لتستفيق مما هي فيه وتملأ الفرحة وجهها الذي علته الحمرة وتفر هاربة إلى داخل حجرتها لتستلقي على فراشها وهي تكاد تطير من السعادة.

أما (حسام) فقد علم أنه سيرجع إلى كوكبه حتمًا تاركًا قلبه هنا في كوكب الأرض.

وحاول التشاغل عن ذلك بالتفكير مرة أخرى في مهمته، إن تفكيره يقوده إلى الإعتقاد بوجود خُدعةٍ ما في تلك الأحداث. خدعة غير ظاهرة. فأين هى تلك الخدعة ؟ أين ؟! أين ؟!

كان الهواء باردًا، ولم يدر (حسام) بنفسه إلا ويد (هادي) تهزه ليستيقظ صباحًا، و(هادي) يقول له بانزعاج:

- استيقظ يا (حسام). ما هذا الذي فعلته يا صديقي؟ كيف تنام هكذا في هذا البرد الشديد بدون غطاء حتى؟

ابتسم (حسام) وهو يقوم من مقعده متمطيًا:

- لا تخش شيئًا يا صديقي، لم يحدث لي أي سوءٍ والحمد لله، فأنا معتاد على ذلك. وصدقني لقد غلبني النوم وأنا جالس فلم أحس بأي شيء من حولي.

وما إن انتهى الجميع من تناول الإفطار حتى أعدت (لميس) القهوة لكلٍ من أبيها و(حسام) في حين أعدت الشاي لها ولوالدتها وكذلك لـ (هادي)، وبينما هم متحلقون حول المائدة في انتظار (لميس)، إذ تهلل وجه (حسام) فرحًا وانطلق يضحك بصوتٍ عالٍ وهو يقول:

- يالي من مغفلٍ كبير، نعم . هذه هي الخدعة إذن، إنه لم يأت إلى هنا أصلًا، لقد خدعونا لكي أتوجه إلى هنا فى حين انطلق الاثنان إلى هناك، إلى ميدان النصر.

تطلع الجميع إلى (حسام) في دهشة شديدة قبل أن يقول (هادي) وقد قطب جبينه:

- ميدان النصر، وخدعة ! ما هذا الذي تقوله يا صديقي ؟! ماذا حدث لك ؟! هل هي هلوسة بسبب نومك في (الفراندة) ؟!. أم ماذا ؟!.

ابتسم (حسام) وهو يربت على كتف (هادي) الجالس بجواره وقال بمودة بالغة:

- صديقي العزيز (هادي). يُسعدني أن التقيتك هنا. وأرجو من الله أن يتكرر اللقاء، وأعدك أنى سوف آتي لزيارتك في وقتٍ ما.

ما إن أنهى حديثه حتى دخلت (لميس) وهي تدفع أمامها منضدة صغيرة عليها المشروبات لتجد (حسام) وكأنه يستعد للرحيل، فقد حيا والدي (هادي) على حسن ضيافتهما وكرمهما الزائد، ثم توجه إلى (لميس) وصافحها وهو يضغط على يدها ويتطلع إلى عينيها قائلًا في صوت خفيض لا يسمعه سواها:

- سأعود.

واستدار ناحية (هادي) قائلًا:

- هيا بنا يا صديقي.

ليتطلع إليه (هادي) بدهشة ثم يتبعه إلى الخارج بعدما ألقى التحية على عائلته.

وانطلق (هادي) و(حسام) إلى حيث تقطن (هالة). وتوقف (هادي) أمام الفيلا وهو ينظر إلى (حسام) متسائلًا:

- ما هذا الذي قلته يا (حسام) ؟ أنا لا أفهم شيئًا.

ابتسم (حسام) وقال:

- (هادي) سأضطر إلى تركك الآن، فأمامي مهمة صعبة جدًا يتوجب عليّ أن أنجزها لإنقاذ وطني.

تطلع إليه (هادي) بدهشة شديدة قبل أن يقول مستغربًا:

- وطنك ؟!! ألست مصريًّا يا صديقي؟!!

ابتسم (حسام) مرة أخرى قبل أن يقول:

- بالطبع يا صديقي، أنا مصري أبًا عن جد ولكن .....

وصمت (حسام) قليلًامفكرًا فاستحثه (هادي) على الحديث قائلًا:

- ولكن ماذا يا صديق؟! أخبرني بالله عليك.

نظر(حسام) في عيني (هادي) بحزمٍ قبل أن يقول:

- سوف أخبرك بكل شيء يا صديقى، صدقنى. ولكن ليس الآن، سأخبرك بكل شيء ولكن بعد نجاح مهمتي، أعدك بذلك.

ثم صمت قليلًا قبل أن يكمل قائلًا:

- أما الآن فسوف أتركك على وعدٍ باللقاء كما أخبرتك، وتحياتي إلى (هالة) وإلى أسرتك الكريمة المحترمة، وشكرًا لك يا صديقي.

قالها واحتضن (هادي) الذي وقف مذهولًا لا يدري ماذا يفعل أو ماذا يقول.

(١٨)

فجأة ارتفعت أصوات الطائرات الحربية في سماء الميدان، وتجمد المشهد لعدة ثوانٍ، لم يُسمع فيها أي صوتٍ من الميدان، حتى أن الجميع تجمدوا في أماكنهم وهم يتطلعون إلى السماء، ليشاهدوا عددًا كبيرًا من الطائرات الحربية، وهي تنطلق في تشكيلات قتالية متعددة، وبعضها يطير على ارتفاعات منخفضة جدًا، وكأنها ستنقض عليهم لتدميرهم عن آخرهم.

وقبل أن يفيق أعضاء الجماعة وهم على أحد أطراف الميدان، في سبيلهم للفرار بقيادة الشاب الوسيم، إذ بمجموعة من قوات الجيش تظهر فجأة لتحيط بهم جميعًا في دائرة واسعة، حتى أنهم لم يستطيعوا إخفاء أسلحتهم، أو حتى القيام بأي رد فعل من أي نوع، في حين تقدم ضابط ذو رتبة كبيرة ناحية الشاب الوسيم والوقور ذي اللحية القصيرة البيضاء، وابتسم الضابط ابتسامة واسعة قبل أن يقول متهكمًا:

- هل تصورتم بالفعل أنكم ستفرون من الميدان هكذا بكل سهولة؟! وهل ظننتم أنكم ستقتلون جنودنا بمسدساتكم تلك؟ يبدو أنكم بالفعل مازلتم بُلهاء في تفكيركم المتطرف.

ثم صمت الضابط وهو يشير إلى جنوده للقبض على جميع أعضاء الجماعة، وباقي المتظاهرين حولهم ينظرون إليهم في دهشة شديدة بينما الجنود يجردونهم من أسلحتهم ويضعون الأصفاد الحديدية في يد الجميع. بينما تمتم الشاب الوسيم مستغربًا ومندهشًا:

- ولكن كيف ؟! كيف علمتم بخطتنا أصلًا ؟!

ابتسم الضابط في سخرية مرة أخرى وهو يقول:

- إننا نراقبكم منذ دخلنا إلى الميدان، وكذلك نراقب مقر اجتماعاتكم في الميدان وتم تسجيل كل كلمة في اجتماعكم الأخير بالصوت والصورة. أي أن دليل إدانتكم جاهز وهو رسمي تمامًا لأنه بأمر من السلطات المختصة.

ثم صمت قليلًا قبل أن يقول وهو يتوجه إلى سيارته:

- أي أن إعدامكم مسألة وقت لا أكثر.

وتهاوت قلوبهم جميعًا في أقدامهم وقد ظهرت على وجوههم أعتى علامات الفزع والذهول.

(١٩)

- سيدي القائد، لقد وقعنا في خدعة كبيرة جدًا، للأسف لم ننتبه لها أصلًا.

قال (حسام) ذلك وعلامات الأسف والاستياء تظهر على ملامحه. في حين زوى القائد ما بين حاجبيه وهو يقول:

- وكيف ذلك ياحسام ؟!

زفر (حسام) في قوة قبل أن يقول:

- يبدو أنهم في (أمريكانيتا) يعلمون أو على الأقل يشكون في أن لنا عينًا بينهم، ولذا فقد أرسلوا لنا عن طريقه تلك المعلومات الخاصة بسفر (جيمس) إلى (مصر) في كوكب الأرض ليشتتوا انتباهنا عن خطتهم الفعلية هنا في كوكبنا، فلقد قضيت ثلاثة أيام كاملة على كوكب الأرض للبحث عن (جيمس) ولم أجده، حتى أنني اضطررت إلى استخدام جهاز البث الخاص والذي يغطي الكرة الأرضية كلها، ولكنه لم يعثر على أدنى أثر له، وفي اليوم الرابع اهتديت إلى خدعتهم؛ ولذلك اضطررت للرجوع مرة أخرى إلى هنا للتزود بالطاقة. فكما تعلم أن جهاز البحث الخاص يستهلك نصف الطاقة الموجودة بالفعل.

أومأ القائد برأسه إيجابًا قبل أن يقول:

- وعلى هذا فـ (جيمس) هذا مختفٍ في مكانٍ ما في دولته و(دونالد) قد سافر بالفعل إلى ماضينا. أو سافر الاثنان معًا إلى الماضي.

أشار (حسام) بيده أن نعم قبل أن يتطلع إلى القائد قائلًا:

- ما فعله (دونالد) في ماضينا لا يوجد له أي تأثير حتى الآن، مما يمنحنا الفرصة للتفكير والوصول إلى أهم نقطة، وهي أين سيذهب (دونالد) في ماضينا وما هي خطته التي سيقوم بتنفيذها لتغيير ماضينا الآن ؟!

أطرق القائد برأسه قليلًا قبل أن يرفعها مرة أخرى متطلعًا إلى (حسام) قبل أن يقول:

- إنها مهمة صعبة جدًا بدون أي معلومات، بل أعتقد أنها مستحيلة.

نهض (حسام) عن مقعده وسار حتى الحائط الزجاجي المطل على العاصمة والذي يستطيع من خلاله أن يرى معالم العاصمة ولا يراه أحدٌ من الخارج. وراح يتأمل المدينة بمبانيها وسياراتها الطائرة أو حتى تلك التي مازالت تسير على الأرض، ورفع رأسه إلى السماء متطلعًا إلى زرقتها وأشعة الشمس الذهبية والتي تنتشر في نصف الأرض التي يقع فيها (إيجيبتو) بلده الحبيب والذي تتآمر الدول لإزالته من الوجود بعد تلك المرتبة العالية التي وصلت إليها بعد الثورة المجيدة التي انطلقت منذ ستين عامًا واستطاعت الحكومات المتعاقبة في العشرين سنة التالية للثورة من وضع (إيجيبتو) في مصاف أكبر عشر دول في العالم، وبسبب الأبحاث العلمية والاهتمام بها قفزت (إيجيبتو) إلى المرتبة الثالثة على العالم ليكون لها كلمة مسموعة في الكوكب كله ومؤثرة كذلك.

نفض (حسام) رأسه من ذكرياته على صوت القائد وهو يقول:

- (حسام)؟ ماذا دهاك يا فتى؟!

التفت (حسام) إلى القائد وقال: - سيدي، أعتقد أن هناك أملًا كبيرًا جدًّا في العثور على (دونالد) والذهاب إليه حيث يكون.

نظر إليه القائد بدهشة وهو يقول: - وكيف ذلك ؟!

ابتسم (حسام) وقال وهو يتوجه إلى مقعده مرة أخرى:

- المعلومات يا سيدي القائد والتاريخ.

تطلع القائد إليه مقطبًا جبينه قبل أن تنفرج أسارير وجهه ليبتسم بدوره ويقول وهو يضغط على عدة أزرار على سطح مكتبه:

- نعم، صدقت، التاريخ والمعلومات.

وما إن انتهى من حديثه حتى أضاءت الشاشة المجسمة في الحائط لتظهر صورة رجل وقور أشيب الشعر وهو يقول:

- مرحبًا بك سيدي القائد.

اكتسب وجه القائد بالجدية وهو يقول:

- عالِمُنا الكبير، سأطلب منك وممن معك شيئًا وأريد نتيجته مساء اليوم على أقصى تقدير.

ابتسم العالم الوقور قبل أن يقول:

- اطلب ما تشاء يا سيدي وأنت تعلم تمامًا أننا لن نخذلك أبدًا.

وانعقد حاجباه في شدة وهو يستمع إلى ما يطلبه منه القائد ويعلم أن ما يطلبه من المستحيل تنفيذه. من المستحيل تمامًا.

(٢٠)

فجأة ارتفعت الصرخات عاليًا وسُمع دبيبٌ شديدٌ على الأرض، وكانت الأرض تهتز بشدة، وأطلق (هادي) نظره ناحية الصرخات، وياالهول ما رأى.. لقد شاهد المتظاهرين يفرون في كل حدب وصوبٍ، وفجأة ظهر من بينهم راكبو الجمال والخيول وهم يلوحون بعصيانهم لتفرقة المتظاهرين، ولم ينتظر (هادي) وأصدقاؤه لمشاهدة المزيد، بل أسرعوا ناحية المعتدين القادمين من ناحية ميدان عبد المنعم رياض بعدما أشار إلى (هالة) بأن تلتزم مكانها ولا تغادره مطلقًا مهما حدث.

وانطلق (هادي) مع أصدقائه وآخرين للدفاع عن الميدان وأسرع بالقفز عاليًا ليجذب أحد راكبي الجمال ويلقيه أرضًا وما إن سقط من على ظهر الجمل حتى قفز (هادي) مبتعدًا وتركه بين يدى ثوار آخرين ليلقنوه درسًا لن ينساه طوال حياته، فينطلق (هادي) مرة أخرى ليسقط واحدًا آخر من فوق صهوة جواده ثم يتطلع حوله ويبتسم بالرغم من هول المنظر بعدما شاهد أكثر من خمسين شخصًا وقد أُسقطوا من فوق دوابهم وراح الثوار يكيلون لهم الضربات ركلًا ولكمًا.

وفجأة وجد الثوار قطعًا حجرية مختلفة الأحجام وهي تتساقط عليهم من السماء ليشاهدوا عددًا كبيرًا من هؤلاء البلطجية وقد احتلوا أسطح العمارات المطلة على المتحف المصري وهم يقذفون بالحجارة فوق رؤوسهم وقبل أن يُبدي (هادي) ومن معه ردة فعلٍ وجد (هادي) أحد أصدقائه وقد

سقط حجر فوق رأسه ليسقط مضرجًا في دمائه التي راحت تنفجر من رأسه في غزارة وقبل أن يستطيع (هادي) حمله إذ بقطعة حجرية أخرى تسقط لتصيبه هو في كتفه الأيسر فيشعر وكأن صاروخًا من نار يتصاعد من كتفه ورأسه فمادت الأرض من تحت قدميه وسقط بجوار صديقه الغارق في دمائه والجميع من حوله يبحثون عن أماكن للاختباء والاحتماء من تلك الأحجار التي تتساقط بغزارة من فوقهم. وفجأة شاهد مجموعة من الثوار وهم يتقدمون ناحيتهم ويحملون فوق رؤوسهم لوحًا خشبيًا كبيرًا للاحتماء به من تلك الأمطار الحجرية لمساعدة الجرحى وحملهم من تحت وابل الحجارة المتساقطة.

استطاع (هادي) بفضل وجود تلك المظلة أن يحمل صديقه بمساعدة أحد الثوار الآخرين لينطلقا إلى المستشفى الميداني ويشاهد في طريقه بداية انتشار تلك المظلات خشبية أو حديدية لحماية الثوار وكذلك صد الهجوم من المعتدين المؤيدين لرئيس الجمهورية. وما كاد (هادي) يصل إلى المستشفى الميداني حتى وضع صديقه واطمأن عليه لينطلق برغم الألم الشديد في كتفه إلى وجهة واحدة وهى محاولة الصعود إلى إحدى العمارات والتي تقذف الأحجار من فوقها ولكن الزحام الشديد حال دون الوصول إليها. فراح يساعد في حمل المصابين إلى المستشفى الميداني لتلقي العلاج بالرغم من وجود بعض الأحجار التي ما زالت تسقط ولكنها أقل بكثير من ذي قبل،

وبفضل الثوار الحاملين للمظلات الخشبية أو الحديدية فقد استطاعوا نقل جميع المصابين من المنطقة إلى المستشفى الميداني.

وانطلق (هادي) خلال الميدان ليشاهد مجموعة كبيرة من راكبي الأحصنة والجمال وعربات الحنطور وقد تم تقييدهم بالحبال في إحدى الزوايا من الميدان في حين كان الثوار قد استولوا على العصي الخاصة بهم وانطلقوا في أنحاء الميدان لحراسة البوابات ومنع أي معتدٍ من الدخول.

وفجأة انطلقت عدة أعيرة نارية بالقرب منهم، ليلتفت (هادي) بسرعة، فيجد هرجًا ومرجًا في شارع طلعت حرب، فينطلق إلى داخل الشارع مسرعًا، ويشاهد عددًا من البلطجية يحاولون الدخول إلى الميدان من بوابة طلعت حرب، ولكن أحد ضباط الجيش كان يتصدى لهم وحده، ويهددهم بمسدسه، ويطلق منه عدة طلقات في الهواء لمنعهم من الاقتراب، ثم أشار إلى إحدى الدبابات للتقدم لغلق الطريق تمامًا أمام البلطجية، فأسرع (هادي) بمشاركة عدد كبير من الثوار بالوقوف خلف ذلك الضابط الشجاع وسد الطريق تمامًا أمام البلطجية، لمنعهم من الدخول إلى الميدان، وتشابكت أيدي الثوار في عزم وتصميم شديدين لتنسحب أعداد البلطجية أمام إصرار وعناد الثوار، وما كادوا يبتعدون حتى انطلق الثوار إلى ذلك الضابط الشجاع ليحيوه على شجاعته الكبيرة ويطلق عليه أحدهم لقب (أسد الميدان)، وحملوه عاليًا فوق الأكتاف احتفالًا بشجاعته.

وتركهم (هادي) ليعود مرة أخرى إلى حيث ترك (هالة) مع صديقاتها ليجدها شاحبة الوجه وما إن شاهدته حتى ألقت بنفسها بين ذراعيه وهي تبكي في حرارة.

(٢١)

انتفض جسد رئيس جمهورية (أمريكانيتا) وامتدت يده إلى جرس الإنذار ليضغط عليه في قوة وقد اعتلاه الفزع الرهيب وهو يرى شابين أحدهما ذو لحيةٍ صغيرةٍ وقد ظهرا فجأة أمامه وهو جالس إلى مكتبه الخاص في حجرة نومه، وقبل أن تمتد يده الأُخرى إلى سلاحه المُخبأ داخل أحد أدراج المكتب كان أحد الشابين قد قفز قفزة واسعة ليحيط رقبته بإحدى يديه وبالأخرى يصوب له سلاحًا غريب الشكل لم ير مثله قط، في حين قال الآخر ذو اللحية بنفس لغته وبهدوء شديد:

- سيدي الرئيس، أرجو إبلاغ من سيأتى حالاً من الأمن، بأن ما حدث كان خطأ غير مقصود، وأن ذلك كان إنذارًا كاذبًا، وستفهم كل شيء لاحقًا يا سيدي. وذلك لمصلحة دولتنا العظمى (أمريكانيتا).

حدق إليه الرئيس في ذهول وهو يتطلع إلى هيئته ثم نقل بصره إلى السلاح المجهول المصوب إليه قبل أن يسمع طرقًا شديدًا على باب حجرته وصوتًا أجش قويًا يقول:

- سيدي الرئيس إئذن لنا بالدخول.

نظر الرئيس إلى (دونالد) الذي أشار إليه بالرد هادئًا، فقال الرئيس بنبرة حاول جعلها هادئة وإن كان جسده كله يرتعش:

- لا يا (هانز) لا تدخل. لقد ضغطت على جهاز الإنذار بدون قصد فلتعد إلى موقعك الآن.

سمع الجميع صوت عدد من الأسلحة وهي توضع في وضع الاستعداد قبل أن يقول (هانز) بنبرة حازمة:

- سيدي. لو لم يتم السماح لنا بالدخول في خلال عشر ثوان من نهاية حديثى فسوف يتم الاقتحام وقتل كل من في الحجرة سواك، فأنت تعلم القانون والتعليمات الخاصة بهذا الشأن يا سيدي. سيتم العد من الآن يا سيدي.

وقبل أن يُكمل (هانز) حديثه وجد الباب وقد فُتح فجأة وظهر رئيس الجمهورية من خلاله وهو يقول ساخطًا:

- ما هذا يا (هانز). ألم أقل لك إنه إنذارٌ خاطئ. هيا هيا فلتذهب إلى حيث موقعك ودعني أُكمل عملي.

قال الرئيس ذلك وهو يُغلق الباب دون ترك أي فرصة لـ (هانز) هذا بأن ينبس ببنت شفة.

ثم عادالرئيس إلى مكتبه في هدوء، ليجلس على مقعده، ويخرج في نفس اللحظة كل من (دونالد) و(جيمس) من الحمام الملحق بالحجرة، وعلى شفاههما ابتسامة كبيرة، ليجلسا أمام الرئيس في الطرف الآخر من المكتب و(دونالد) يمد يده على المكتب ليلتقط صورة ثلاثية الأبعاد للرئيس الأمريكانيتي وهو يتم تكريمه فى مجلس النواب بعدما استطاعت (أمريكانيتا) احتلال جزء كبير من القارة (الأوروناسية) ويضعها في جيبه مرة أخرى.

كانت الصورة هي ما أقنع الرئيس بالهدوء وصرف رجال الحراسة لكي يستمع إلى الرجلين في هدوء.

وبدأ (دونالد) حديثه قائلًا بابتسامة كبيرة:

- سيدي الرئيس أقدم لك نفسي وزميلي.

وأخرج من جيبه بطاقتي تعريف بانتمائهما إلى إدارة خاصة تتبع الجيش (الأمريكانيتي)، وعندما شاهد الرئيس التاريخ المدون عليهما قطب جبينه بدهشة شديدة عقدت لسانه قبل أن يقول (دونالد):

- نعم يا سيدي. ما قرأته صحيح تمامًا، نحن ننتمي إلى المستقبل القريب فنحن قادمان من مستقبلك أنت بعد ستين عامًا من الآن بالتحديد.

حاول الرئيس التحدث ولكنه لم يجد من الكلمات ما يسعفه للحوار، فظل صامتا لعدة دقائق قبل أن يقول وقد جمع شتات نفسه:

- ولكن كيف؟ كيف حدث ذلك؟ ولماذا؟

ابتسم كل من (دونالد) و(جيمس) قبل أن يقول (دونالد) بلهجة جادة:

- سيدي؟ إن تصديق وإثبات ما أقوله في منتهى السهولة والبساطة، ولكن ما يهمني الآن هو أسباب هذه الزيارة والتي ستكون خطيرة جدًا ولذا فلن يتم الإفصاح عنها للرأي العام أبدًا، بل ستظل في طي الكتمان تمامًا ولن يعرف بها إلا عددٌ قليلٌ جدًا من القادة، فالمسألة مسألة أمن قومي يا سيدي.

صمت قليلًا قبل أن يستطرد في حزم:

- هل تفهمني يا سيدي؟

أومأ الرئيس برأسه أن نعم قبل أن يقول في حذر:

- وما هو سبب هذه الزيارة يا سيد (دونالد)؟

ابتسم (دونالد) لقوة ملاحظة الرئيس بالرغم من الموقف الغريب حيث استطاع أن يلتقط اسمه من البطاقة قبل أن يقول (دونالد) في قوة وحزم:

- السيطرة يا سيدي، السيطرة التامة على العالم أجمع بكل خيراته ومقدراته وخصوصًا دول الشرق الغنية بكل خيراتها واحتلالها والقضاء على قوتها تمامًا لتكون مجرد توابع لنا ولقوتنا العظمى (أمريكانيتا).

تطلع إليه الرئيس بذهول وهو يقول:

- احتلال؟! ولكن لابد وأنك تعلم أننا لن نستطيع احتلال أي دولة من تلك الدول. فأنت تعلم حتمًا ما حدث لجيوشنا عندما حاولنا احتلال (دولة الرافدين) وكم الخسائر التى تكبدناها، ولولا أننا استطعنا شراء عدد كبير من الشخصيات هناك ما كنا لنستطيع أن نحتل تلك الدولة البغيضة.

أومأ (دونالد) برأسه متفهمًا قبل أن يقول:

- سيدي؟ إننا قادمان من المستقبل بصفة رسمية وليس من تلقاء نفسينا.

زوى الرئيس ما بين عينيه دهشةً قبل أن يقول متسائلا:

- صفة رسمية! كيف ذلك؟!

أكمل (دونالد) حديثه قائلًا:

- لقد قام جهاز المخابرات في زمني وبعد موافقة مجلس النواب وكذلك رئيس الجمهورية بإعداد خُطة خاصة سيتم من خلالها السيطرة على أكبر تلك الدول.

صمت (دونالد) لحظات وهو يتطلع إلى الرئيس متفرسًا فيه قبل أن يقول وهو يضغط على حروف كلماته وينطقها ببطءٍ شديد:

- (إيجيبتو). وسيكون من السهل السيطرة على بقية الدول بعد ذلك.

جحظت عينا رئيس الجمهورية في شدة وهو يتطلع إلى (دونالد) غير مصدق لما يقول قبل أن يخرج صوته خافتًا:

- (إيجيبتو)؟! هل تعلم ما تقول يا (دونالد)؟ إنها الدولة الوحيدة التى لن نستطيع احتلالها أبدًا.

ابتسم كل من (دونالد) و(جيمس) في قوة قبل أن يقول (دونالد):

- عندما تسمع خُطتنا يا سيدي ستزول عنك كل آثار تلك الدهشة وعدم التصديق.

وبدأ (دونالد) في شرح الخطة كاملةً لرئيس الجمهورية والذي اتسعت حدقتاه في قوة ودهشة وذهول مما يسمع.

وكذلك شاركه ذهوله، شخصٌ ما، وهو يستمع للحوار من داخل الحمام الملحق بحجرة نوم الرئيس، شخص نعرفه نحن باسم الرائد (حسام).

(٢٢)

- سيدي القائد... لقد وجدناها يا سيدي.

انطلق الصوت عبر قناة اتصال خاصة، من قسم هيئة كبار العلماء الملحقة بالمبنى، بداخل حجرة رئيس الجهاز الخاصة، في الطابق الثلاثين من المبنى، ليشير القائد إلى الحائط المواجه له لتظهر صورة رئيس قسم هيئة كبار العلماء الوقور وهو يبتسم في سعادة ويستمع إلى القائد الذي قال فى شغف:

- هيا يا سيدي فلتخبرني بما وجدت بسرعة.

ابتسم الوقور مرة أخرى قبل أن يقول في جدية:

- إننا نعمل بكامل طاقتنا منذ أخبرتنا بمحاولة معرفة أي تغيُر في التاريخ يا سيدي، وكادت محاولاتنا أن تبوء بالفشل لولا أحد شباب عُلمائنا.

صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه في حين تطلع إليه رئيس الجهاز قائلًا باهتمام شديد:

- أكمل ياسيدي بسرعة رجاءً.

أومأ الوقور برأسه قبل أن يُكمل قائلًا:

- لقد كان ذلك العالم يتابع أحداث دولة (أمريكانيتا) حتى استوقفه حدث صغير جدًا ليس ذي أهمية بتاتًا، ولكني أعتقد أنه هو ما تبحث عنه يا سيدي.

تطلع إليه القائد بانتباه والوقور يتابع حديثه قائلًا:

- انطلاق إنذار خاطئ من حجرة نوم الرئيس في (أمريكانيتا).

زوى القائد ما بين عينيه في شدة قبل أن يقول متسائلًا:

- وما فائدة هذا الإنذار الخاطئ يا سيدي؟

ابتسم الوقور قبل أن يتابع حديثه في اهتمام شديد:

- أنت تعلم يا سيدي أن أي شيء يحدث في قصر الرئاسة، يتم تسجيله وحفظ السجلات في المتحف الخاص بالقصر الرئاسي، ومنه ما يكون متاحًا للعامة ومنه ما يكون غير متاح إلا للأجهزة الخاصة فقط.

هز القائد برأسه متفهمًا قبل أن يقول:

- وماذا حدث؟

أشار الوقور بيديه إشارة مُبهمة في الفراغ قبل أن يقول:

- لقد وجد العالم الشاب ذكرًا لذلك الإنذار الخاطئ في مذكرات قائد الحرس في القصر الرئاسي في وقت محدد قبل قيام ثورتنا المجيدة بستة أشهر كاملة. وعندما قام بالبحث عنه في سجلات القصر الرئاسي لم يجد له أي ذكرٍ أصلًا. ولذا فقد قام بالتدقيق فى البحث وعندئذٍ وجد فراغًا في ذلك اليوم في ساعة محددة أي أنه تم محو كل ما حدث في ذلك الوقت من السجلات حتى تلك السجلات غير المخصصة للعامة.

تطلع القائد إلى العالم الوقور أمامه على الشاشة المجسمة ورأسه يموج بالأفكار قبل أن تنبسط أسارير وجهه بابتسامة هادئة وهو يضغط بضعة أزرار على سطح مكتبه ويقول للعالم الوقور:

- أحسنتم صنعًا بالفعل يا سيدي. لا أدري ماذا أقول لك؟ ولكنك بالفعل سوف تصنع فارقًا ضخمًا في التاريخ بمعلوماتك تلك.

ثم صمت قليلًا قبل أن يقول:

- فلترسل لي تلك المعلومات بكل دقة بتحديد كل شيء الوقت والمكان بالتفصيل. فكل معلومة ولو بدت صغيرة فهى بالنسبة لنا في منتهى الأهمية.

أومأ العالم الوقور برأسه متفهمًا، قبل أن يغلق القائد قناة الاتصال المرئية، لتستقبل الشاشة المعلومات المطلوبة، فيشير القائد إلى الشاشة بيده، لكي تتم طباعة تلك المعلومات على أحد المكعبات ثلاثية الأبعاد، في نفس اللحظة التى أعلنت فيها شاشة الرصد وقوف الرائد (حسام) أمام باب مكتبه طالبًا الإذن بالدخول.

(٢٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المواطنون. في ظل هذه الظروف العصيبة التى تمر بها البلاد، قرر الرئيس تخليه عن منصب رئيس الجمهورية، وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإدارة شئون البلاد. والله الموفِق والمستعان.

خيم صمت تام على الثوار في جميع أنحاء البلاد بعدما أنهى نائب الرئيس ذلك البيان محاولين استيعاب ما جاء فيه غير مصدقين أنهم قد سمعوا واستوعبوا مافي ذلك البيان بالفعل.

وفجأة انطلقت الصرخات في أنحاء الجمهورية. صرخات تعبر عن الفرح والسعادة والسرور. صرخات أخرجت ما كان يجيش بالصدور من غضب وثورة وكبت. وانطلق الثوار يهنئون بعضهم البعض في سرورٍ بالغ. كانوا جميعًا يتلاقون بالأحضان وهم لا يعرفون بعضهم ولكن اللحظة كانت لحظة خاصة لم يصدقوا أنها سوف تأتي بالفعل.

وفي ميدان التحرير كان هناك عناقٌ من نوعٍ آخر. نعم، كان (هادي) يُعانق (هالة) حبًا وعشقًا وفرحًا. كانت تلك اللحظة من أسعد لحظات حياتهما، لحظة التنحي ولحظة العشق، فقد اجتمعت كل أحاسيسهما في تلك المعانقة، أفرغ كل منهما لواعج قلبه وعقله فيها. ومن شدة سعادته حملها (هادي) بين يديه وراح يرقص بها وهو يكادُ أن يطيرُ من سعادته. ياااااااااااه. أخيرًا تم

إزاحة الكابوس. أخيرًا سوف تنعم البلاد بالاستقرار والأمان. وأخيرًا سوف ينعم هو بالحب في جوٍ من السعادة بعد تنحي ذلك (الفرعون) الظالم.

كان يدور في الميدان حاملًا (هالة) وقد تخضب وجهها احمرارًا بشدة وإن كانت الدُنيا كلها لا تسعها من السعادة، ليس فقط بسبب تنحي الرئيس ولكن بسبب تلك المشاعر الفياضة التي لم تشاهد مثلها من قبل والتي يغمرها بها (هادي). أمن المعقول أنه يُحبها كل ذلك الحب. هي تعلم بأنه يُحبها بالفعل، ولكن لم تكن تتخيل أن يحمل قلبه لها كل ذلك العشق، إنها بالفعل في قمة سعادتها، ياليتهما يذهبان إلى سطح القمر وحدهما يتناجيان، يبُثان بعضهما البعض لواعج العشق والغرام. لا، يكفيها أن تتطلع في عينيه، إن عينيه تشُعان حبًا، تقولان كل ما يُمكن أن يُقال. حبًا وعشقًا، ولهًا بها، غرامًا لها، إنها تعلم أنه ليس فصيحًا في الحديث لكي يحدثها حديثًا طويلًا في العشق والغرام. ولكنه فصيحٌ جدًا في بث مشاعره من خلال عينيه. وهذا بالفعل يكفيها.

أفاقت من أفكارها وأحلامها على (هادي) وهو يضعها على الأرض ثم يمسك رأسها بين يديه ويتطلع في عينيها طويلًا طويلًا قبل أن يقترب برأسه منها ثم يُقبلها على جبهتها، ولم تتحمل (هالة) ذلك الكم الهائل من المشاعر الفياضة الممتلئة بالحب والعشق ففوجيء بها (هادي) وقد سقطت فاقدةً للوعي وعلى وجهها ابتسامة حبٍ لا توصف. أسرع (هادي) يحملها مرة أخرى ليجلسها على الرصيف وهو يحاول إفاقتها، والناس من حوله يتصايحون فرحين مبتهجين من سعادتهم بعد تنحي الرئيس وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شئون البلاد.

(٢٤)

تجمد الجميع في مقاعدهم كالتماثيل، في حين انهار رئيس جمهورية (أمريكانيتا) فوق مقعده فاغرًا فاهُ غير مصدقٍ لما سمع، هل يمكن أن يحدث هذا بالفعل؟ غير معقول. لابد أن في الأمر خُدعةً ما، مستحيل، مستحيل.

رفع الرئيس رأسه ببطء شديد ناحية نائب مدير المخابرات، والذي كان واقفًا شاحب الوجه كجثةٍ هامدة. وقال له بصوتٍ لا يكاد يُسمع إلا بصعوبة شديدة:

- ماذا قُلت أيُّها التعس؟.. في أي دولةٍ حدث ما تقول؟

تطلع إليه نائب مدير المخابرات بعينين دامعتين قائلًا:

- لقد تم تفجير خمسين مستودعًا للأسلحة فوق أراضينا يا سيدي. لقد فقدنا أكثر من ثلثي أسلحتنا دفعةً واحدة، وليس هذا فقط، بل إننا فقدنا أكثر من مائة ألف مقاتل من خيرة جنودنا.

صمت قليلًا قبل أن يقول متابعًا حديثه:

- سيدي. إن ما حدث كارثة. كارثة لن نستطيع تعويضها قبل عشرين عامًا على الأقل أما الخسائر البشرية فلن تعوض أبدًا.

تطلع قائد الأسطول البحري إلى الجميع بعيون زائغة قبل أن يفاجأ الجميع به وهو يخرج سلاحه الناري ويضعه في فمه ليطلق النار مفجرًا رأسه بسرعة لم يستطع على إثرها أي من الحاضرين القيام بأي محاولةٍ لمنعه فقد كانت صدمتهم مما سمعوا تفوق احتمالهم.

وقبل أن يتحرك أحدهم، إذ بباب الغرفة يُفتح بعنفٍ شديد ليصطدم بنائب مدير المخابرات بشدة ويلقيه أرضًا لتندفع قوات الحراسة الخاصة بالرئيس إلى داخل المكان وقائدهم يتطلع إلى الجميع ثم تستقر عيناه على قائد الأسطول البحري وقد تراخى جسده وتدلت يداه بجواره وقد سقط منه سلاحه الناري وانفجرت جمجمته تمامًا، ثم أدار قائد الحرس وجهه ناحية رئيس الجمهورية قائلًا بدهشة:

- ماذا حدث يا سيدى؟

هز رئيس الجمهورية رأسه في غير استيعاب، وقبل أن يتفوه بكلمة، اندفع نائبه متخطيًا الحضور جميعًا ليضغط على أزرار التلفاز لتشغيله، فيجد الجميع أمامهم على الشاشة دمارًا شاملًا يُغطى أجزاءً لا حصر لها في جميع أنحاء البلاد والجماهير تتقاتل فيما بينها، وقد خرج الجميع من منازلهم وأعمالهم، وانتشرت أعمال العنف والسرقات لتعُم أنحاء البلاد بعد التفجيرات التي حدثت في مخازن الأسلحة والتي اعتقد الجميع أنها حرب شنتها عليهم إحدى الدول الأعداء.

ولم يتحمل رئيس الجمهورية ما يحدث أمامه، خصوصًا ومذيع الأخبار يتحدث عن تلك الرعونة التي تدار بها البلاد، وكيف تسبب رئيسها في تدميرها، ويطالب مجلس النواب بمحاكمة الرئيس.

ولم ينتبه من في حجرة المكتب إلا على صوت طلق ناري آخر ليتطلعوا إلى رئيس جمهوريتهم وقد أنهى حياته بالطريقة نفسها.

(٢٥)

اندفع وزير الداخلية إلى حجرة مكتب الرئيس في دولة (إيجيبتو)؛ ليجد وزير الدفاع وكبير الياوران، وكذلك مدير المخابرات جالسين إلى مائدة الاجتماعات ومعهم الرئيس في انتظاره، وما إن شاهده الرئيس حتى ابتدره متسائلًا:

- ماذا فعلت أيها الوزير؟ أخبرنا سريعًا.

ابتسم الوزير في سعادة لا يعلم أحدهم سببًا لها وهو يشير إلى كبير الياوران لتشغيل التلفاز، ليتطلع إليه الجميع في دهشة شديدة قبل أن ينظر كبير الياوران إلى الرئيس فيشير إليه بتنفيذ الأمر.

وما كاد يفعل حتى تملك الجميع الذهول وهم يتطلعون إلى التلفاز.... الفوضى الشاملة التي تعُم أرجاء دولة (أمريكانيتا). مصرع رئيس (أمريكانيتا) منتحرًا، وكذلك قائد الأسطول البحري.

كانت كاميرات القنوات الفضائية في (أمريكانيتا) تنقل الأحداث، ومقدمو الأخبار غير مستوعبين لما يحدث. هل هو إعلان حرب عليهم؟! هل هو انقلاب داخلي؟! هل هى حرب العصابات؟!

ففي خلال ساعةٍ واحدة فقط كانت (أمريكانيتا) تنهار ولم تستطع أجهزة الأمن الداخلي أو حتى قوات الجيش أن يقوموا بحفظ النظام والأمن، واستغلت العصابات المنظمة حالة الفوضى للاستيلاء على كل ما يمكن سرقته حتى وصل بهم الحال إلى اقتحام القصر الرئاسي نفسه.

مازال الذهول والصمت يخيمان على الجميع وهم يتطلعون إلى شاشة التلفاز قبل أن يقطع رئيس الجمهورية صمتهم قائلًا في أسف:

- يالهول ما يحدث عندهم. هذا هو ما كانوا يتطلعون لحدوثه في دولتنا، هذه هي سياستهم الاستعمارية البغيضة وقد انقلبت عليهم. لشد ما أنا سعيد جدًا بهذه النتيجة، ولشد ما أنا حزين بسبب ما يحدث للشعب الذي لا ناقة له ولا جمل سوى قيادته التي لا تبالي بأي شيء في العالم غير نفسها.

تطلعوا جميعًا إلى رئيس الجمهورية قبل أن يقول مدير المخابرات في حيرة:

- ولكن كيف حدثت تلك الفوضى؟ إن أغلب مخازن أسلحتهم بعيدة عن المناطق المأهولة بالسكان!

تطلع إليه رئيس الجمهورية بحيرة شديدة بدوره قبل أن يقول:

- يبدو أن ما كنا نسمعه بالفعل من وجود انشقاق داخل الدولة هو ما حدا بهم إلى ذلك. فالانقسامات الداخلية تفعل الأعاجيب حقًّا. وهذا ما كانوا يفعلونه بدولتنا ولولا ستر الله علينا وظهور الرائد (حسام) في الوقت المناسب، لكنا الآن نشاهد هذه الأحداث هنا في (إيجيبتو). ولكن الله سلم، فحمدًا لك يا الله.

صمت الرئيس قليلًا قبل أن يقول موجهًا حديثه إلى وزير الداخلية:

- أخبرني أيها الوزير، ماذا فعلت؟

ابتسم الوزير مرة أخرى بالرغم من المشاهد المؤلمة التي تنقلها شاشة التلفاز وقال:

- لقد تم القبض على الجميع يا سيدي. كل من كان يشارك في تلك المؤامرة الدنيئة تم إلقاء القبض عليه ماعدا.....

ثم صمت قليلًا وهو ينظر إلى الحجرة الملحقة لحجرة مكتب الرئيس وقال:

- ماعدا السكرتير الخاص بكم يا سيدي....

هز الرئيس رأسه في تفهم قبل أن يتطلع إلى كبير الياوران وقد فوجئ الأخير بما قاله وزير الداخلية، فأشار إليه الرئيس باستدعاء السكرتير الخاص، والذى ما إن دخل إلى حجرة مكتب الرئيس وشاهد ما يُعرض على شاشة التلفاز حتى تغير لونه واهتزت وقفته، فتطلع إليه الرئيس باسمًا وقال:

- ماذا حدث لك ياالرجل؟ هل فوجئت بما حدث في (أمريكانيتا)؟

ثم استطرد الرئيس بلهجة قاسية وهو يضغط على زر استدعاء قائد الحرس قائلا:

- كيف سولت لك نفسُك أن تخون وطنك؟ كيف أتتك الجرأة لهذا الفعل الشنيع؟

نظر إليه السكرتير في ذهول وعدم تصديق. وقد انعقد لسانه ولم يتفوه بحرفٍ واحد وقائد الحرس يدخل في هدوء ويُلقي القبض عليه، ويرمقه الجميع بنظرات يملؤها البُغض والكُره الشديدين.

(٢٦)

كانت السعادة تغمر أنحاء جمهورية (إيجيبتو) بعد انتشار أخبار ما حدث في (أمريكانيتا)، كان الشعب كله يعلم أنها كانت السبب الرئيسي لما يحدث في العالم كله من كوارث وخصوصًا في بلدهم الحبيب (إيجيبتو).

لقد قامت الثورة في (إيجيبتو) لأسبابٍ عديدة كانتشار الفقر والأمية وتدني المستوى المعيشي والصحي إلى درجات كبيرة جدًا، وكذلك التعامل غير الآدمي من قوات الشرطة.

وكان العجب كل العجب أن يتزامن انهيار دولة (أمريكانيتا) مع خروج الرئيس الإيجيبتي ليعلن عن مجموعة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية في البلاد، وليس هذا فقط، بل لقد فوجئ الجميع بدعوة الرئيس لعمل اجتماع موسع مع كل القوى السياسية في البلاد. كانت هذه الخطوة هي حُلمًا من الأحلام كان الثواريعلمون أنه مستحيل التحقيق، ولكنهم وياللعجب يشاهدونه بأعينهم الآن.

كانت فرحتهم بالفعل عارمة لا حدود لها، ومما زاد من تلك الفرحة العارمة هو رد فعل دولة (إسرائيليتا) العجيب بعد انهيار (أمريكانيتا) حليفتها الرئيسية، وإذاعة خطاب الرئيس الإيجيبتي في نفس اليوم.

لقد فوجئ الجميع بإعلان دولة (إسرائيليتا) انسحابها من أغلب الأراضي المحتلة في دولة (بلستينا) العربية المقدسة وانحصارها في الجزء

الشمالي فقط، وقامت بنشر كل قواتها لحماية تلك المنطقة التي مازالت تسيطر عليها وإن كانت لا تمثل أكثر من خُمس دولة (بلستينا) العربية.

كانت الفرحة عارمة بسبب إعلان الانسحاب. ليس في (إيجيبتو) فقط ولا في (بلستينا) كذلك فقط، ولكن في جميع أنحاء الدول العربية كلها. أكثر من ثلاثمائة عام وهم يحاولون تحرير (بلستينا) دون جدوى، لا سياسة ولا حروب كانت تُجدي نفعًا، بسبب القوة المفرطة والغاشمة المتمثلة في دولة (أمريكانيتا) والتي كانت تساند (إسرائيليتا) بكل قوتها. ولكن ها هي (أمريكانيتا) تنهار تمامًا لتنكمش (إسرائيليتا) على نفسها وتنسحب من أغلب الأراضي المحتلة.

وفي صباح اليوم التالي لسقوط (أمريكانيتا) وانسحاب (اسرائيليتا)، وكذلك إعلان الرئيس الإيجيبتي عن الإصلاحات السياسية والاقتصادية، والاجتماع مع كل القوى الثورية، إذ بالرئيس الإيجيبتي يظهر مرة أخرى على شاشات التلفاز ليُفاجئ الجميع بقرار، لم يُصدق العالم أجمع أنفسهم عند سماعه، وخصوصًا حُكام الدول العربية والشعوب العربية، لقد أعلن الرئيس الإيجيبتي إلغاء مُعاهدة (حُسن الجوار والأمان) بين (إيجيبتو) و(إسرائيليتا)، وليس ذلك فقط، بل وأعلن عن إنشاء تحالف عسكري بين عدة دول عربية لإعلان الحرب على (إسرائيليتا) رسميًا إذا لم تنسحب نهائيًا من بقية الأراضي المحتلة وعودة شعبها كلٍ إلى دولته الأصلية، وإلا فسوف يتم تدميرها تمامًا، وأعطى الرئيس الإيجيبتي مهلة ثلاثة أشهر لتنفيذ ذلك وإلا فهي الحرب والإبادة.

(٢٧)

كانت إجراءات الأمن على أشُدها في القصر الجمهوري في دولة (إيجيبتو) بعد ثلاثة أيام فقط من سقوط دولة (أمريكانيتا) وانتهاء الثورة في (إيجيبتو) وإعلان أسماء الخونة المتعاونين مع (أمريكانيتا) و(إسرائيليتا) وإعلان الحرب رسميًا على دولة (إسرائيليتا).

كان الاجتماع المُزمع عقده في ذلك اليوم اجتماعًا مطولًا مع ممثلي كل المنظمات والجمعيات والأحزاب في (إيجيبتو) للاتفاق على قيادة المرحلة القادمة للبلاد، ثم سيلي ذلك الاجتماع اجتماع آخر ولكن بين رؤساء وملوك وأمراء الدول العربية لتوقيع الاتفاقية العسكرية الخاصة لخوض الحرب على دولة (إسرائيليتا)، وكذلك مناقشة كيفية عمل وحدة شاملة بين جميع الدول العربية لتكوين قوة اقتصادية وسياسية كبرى تقف ضد أي قوة تحاول أن تنال من أي دولة عربية أخرى.

وعندما انتظم الجميع داخل قاعة الاجتماعات الكبرى في القصر الجمهوري الإيجيبتي، وقف رئيس الجمهورية وهو يشير للجميع بالصمت ثم قال بلهجة حازمة حاسمة قوية:

- أبنائي الأعزاء. لقد تطورت الأمور في خلال السنوات الماضية بطريقة نعلم جميعًا أنها لم تكن جيدة بالنسبة للشعب الإيجيبتي، وكان قيام الثورة واجب فعلي عليكم، وللأسف الشديد لم نواجه مطالبكم المشروعة بعقولٍ واعية، وليس هذا بسبب قصور في تفكيرنا ولكن لسبب كان أكبر بكثير من

مطالبكم. وليس معنى ذلك أن مطالبكم للإصلاح الشامل صغيرة أو تافهة بل بالعكس هي مطالب مشروعة تمامًا ولكن.....

صمت الرئيس قليلًا وهو يدور بعينيه متطلعًا في وجوه الجمع الصامت قبل أن يُكمل حديثه قائلًا:

- لقد وصلتنا معلومات مؤكدة وقتها بأن هناك مؤامرة كبيرة جدًا تسعى لتدمير دولتنا تمامًا كما حدث في (أمريكانيتا). وكانت الأطراف الرئيسية للمؤامرة تستخدم أزمات الدولة في تهييج الشعب لعمل ثورة للقضاء على النظام الحاكم واستغلال ذلك للقضاء تمامًا على الدولة، فكما تم الإعلان في اليومين السابقين عن أسماء كل المشاركين في خيانة دولتنا الحبيبة، تعلمون من ذلك أن أعداءنا كانوا مُتوغلين في نظامنا كله، وذلك بالتأكيد كان بسبب قصور شديد من ناحيتنا، وأنا أعترف بذلك أمامكم، كما كان اعتمادهم الثاني في تدمير دولتنا بخلاف تفجير ميدان النصر، هو تفجير جسم السد في الجنوب والذي كان سيتسبب وحده في إغراق الدولة تمامًا ووفاة أكثر من نصف الشعب وغرق كل الأراضي الزراعية وكذلك إتلاف المصانع وهدم المنازل وانهيار كل البنية التحتية في الدولة.

صمت الرئيس مرة أخرى ليلتقط أنفاسه قبل أن يكمل حديثه قائلًا:

- نحمد الله القادر على قيامنا باكتشاف تلك المؤامرة الدنيئة ونجاحنا في القضاء عليها تمامًا وبمكاسب لا يُمكن تخيلها أبدًا، ولولا وجود أسرار لا يمكن إفشاؤها أبدًا لكنت عرضت عليكم

ما حدث بالتفصيل، ولكن لكل شيءٍ وقته وأوانه، ولنقم الآن بعرض وجهة نظر كلٍ منا بوضوح شديد لكيفية إدارة الدولة في الفترة القادمة. وبصفتي رئيسًا للجمهورية فإنني أُعلن الآن على جميع الحضور ويسمعني الآن جميع أبناء الشعب الإيجيبتي وكذلك جميع سكان العالم بأنني أعتبر نفسي رئيسًا مؤقتًا للبلاد لمدة ثلاثة أشهر من الآن وسوف يتم عمل انتخابات جديدة بعد ثلاثة أشهر لانتخاب رئيس جديد يتوافق عليه أبناء الشعب جميعًا وكذلك انتخابات مجلس الشعب وستكون في نفس يوم انتخابات الرئاسة.

وصمت ثانيةً قبل أن يقول:

- وأيضًا فلن تنتهي جلستنا اليوم إلا بالاتفاق على خارطة طريق واضحة للعشر سنوات القادمة سيتم إصدار إعلان دستوري بها وعمل استفتاء شعبي على هذه الخارطة، ولن يتم إقرارها إلا بعد موافقة كل القوى السياسية وكذلك أغلب أبناء الشعب الإيجيبتي في الاستفتاء وإلزام الرئيس القادم أو الرؤساء القادمين وكذلك مجلس الشعب بتنفيذ كل بنود هذا الإعلان الدستوري للنهوض بالبلاد.

توقف الرئيس عن الحديث بعدما شاهد جميع الحاضرين وهم يقفون ويصفقون بحرارة ويهتفون بالموافقة على حديث الرئيس الذي ابتسم في سعادة وهو يتخيل المستقبل الزاهر لدولته الحبيبة (إيجيبتو).

(٢٨)

توقفت سيارة مدير المخابرات الإيجيبتي أمام منزله الصغير في إحدى ضواحي العاصمة ليهبط منها بعدما فتح له أحد رجال الحراسة باب السيارة ثم توجه إلى الداخل من خلال البوابة الرئيسية عابرًا طريقًا قصيرًا محاطًا بالأشجار ليتوجه إلى المنزل، وإذ برجل يعترض طريقه فجأة، فتطلع إليه بدهشة وهو يظنه أحد رجال الحراسة ولكنه توقف مكانه عندما تطلع إلى وجهه ليجده غريبًا ليس معروفًا له، وقبل أن يأتي بأي رد فعل فوجئ بذلك الشخص وقد اختفى فجأة ليظهر بجواره تمامًا وهو يبتسم في مودة شديدة ولكنها لم تمنع مدير المخابرات من إخراج سلاحه ليصوبه إلى ذلك الساحر الغريب ولكنه فوجئ بالغريب وهو يقول بلهجة إيجيبتية خالصة:

- سيدي مدير المخابرات، أرجو منك الهدوء والاستماع إلى كلماتي جيدًا.

تطلع إليه مدير المخابرات وقال وهو يتفرس في ملامحه لمحاولة معرفة خطوته القادمة:

- وما الذي يجعلني أستمع إليك؟ وكيف دخلت إلى هنا أساسًا؟

ثم تطلع مدير المخابرات حوله في ذهول شديد، لقد شتت ظهور ذلك الغريب من انتباهه، فلقد فوجئ مدير المخابرات باختفاء المنزل والحديقة الصغيرة تمامًا من حوله، بل حتى السماء نفسها لم تعُد موجودة وأصبح وكأنه وذلك الغريب يقفان بداخل كرة كبيرة نسبيًا تشُع بإضاءة واضحة، فسقطت يده الحاملة للسلاح بجواره وهو يقول بدهشة شديدة:

- من أنت؟ وماذا فعلت؟ وأين نحن الآن؟

ابتسم الغريب مرة أخرى بمودة وهو يقول:

- سيدي. نحن لم نتحرك من حديقة منزلك خُطوة واحدة. أنا أُريد من سيادتك الهدوء قليلًا لمدة دقيقة واحدة فقط وستعلم كل ما تريد.

تطلع إليه مدير المخابرات وهو يدير الأمر في رأسه ثم وضع سلاحه في جيبه مرة أخرى، فلو أن ذلك الغريب يريد قتله لكان قتيلًا الآن بالفعل، ثم شبك يديه فوق صدره قبل أن يقول:

- حسنًا، أخبرني بما تريد.

نظر الغريب في عيني مدير المخابرات وقال بهدوء شديد:

- سيدي، إنني أُدعى الرائد (حسام) وأنتمي لجهاز المخابرات الإيجيبتي.

زوى مدير المخابرات ما بين عينيه بشدة قبل أن يقول ساخطًا:

- أنت كاذب يا هذا، فأنا أعرف جميع العاملين المنتمين لجهاز المخابرات من صغيرهم إلى كبيرهم، وأنت لست منهم.

ابتسم (حسام) مرة أخرى قبل أن يقول:

- أنا لست كاذبًا يا سيدي، بل إنني أنتمي لجهاز المخابرات ولكن بعد ستين عامًا من الآن تقريبا.

- ماذا؟!!!!

قالها مدير المخابرات رافضًا الأمر في عقله تمامًا. ما هذا الهراء والجنون الذي يقوله ذلك الغريب، زائر من المستقبل، يبدو أنه يشاهد مجنونًا آخر من

المجانين، ألا تكفيهم تلك الثورة التي غطت أنحاء البلاد لكي يأتي إليه ذلك المجنون ليخبره بأنه قادم من المستقبل.

توقفت الأفكار في عقله قبل أن يتطلع إلى (حسام) مرة أخرى قائلًا وهو يُدير رأسه حوله ولا يرى سوى تلك الكرة المضيئة التي يقفان بداخلها:

- لو سلمت لك بالأمر أنك قادم من المستقبل بالفعل وإن كنت لا أصدق ذلك أصلًا، فهل تخبرني بما تريد مني أيها الزائر المستقبلي؟!

ضغط (حسام) زرًا صغيرًا في جهاز يُشبه القلم كان ممسكًا به في يسراه، لتختفي الكرة المضيئة من حولهما ليعود كل شيءٍ إلى طبيعته مرة أخرى و(حسام) يقول:

- سيدي، سنتحدث في مكتبك، فالحوار الذي سأخبرك به لن تتصوره أبدًا ولا يمكن لأحدٍ أن يستمع إليه أصلًا سواك الآن.

نظر إليه مدير المخابرات مفكرًا لحظات قبل أن يقول وهو يتقدم ناحية المنزل:

- حسنًا اتبعني من فضلك.

دلفا سويًا إلى داخل المنزل ثم توجها إلى حجرة مكتب مدير المخابرات ليضغط (حسام) زرًا آخر في الجهاز لتنطلق ومضات متقطعة منه فيتجمد (حسام) في مكانه وهو يضع إصبعه أمام فمه وينظر إلى مدير المخابرات الذي تطلع إليه في دهشة وفتح فمه ليتحدث ولكن (حسام) أشار إليه مرة أخرى إشارة فهم منها مدير المخابرات بأن هناك جهاز تصنت موجودًا بالمكتب لتزداد دهشته

وحيرته. كيف يمكن أن يكون هناك من يستطيع دخول مكتبه الخاص وكذلك زرع جهاز تصنت به.

وقبل أن يسترسل في أفكاره، أشار إليه (حسام) ليتوجه إلى (فوتيه) بركن حجرة المكتب فتوجه هو و(حسام) إليه وجلسا عليه ليضغط (حسام) ذلك الزر الصغير في الجهاز الموجود بيده اليسرى لتختفي حجرة المكتب كلها من حوله عدا ذلك (الفوتيه) الجالسين عليه وتظهر الكرة المضيئة مرة أخرى حولهما ليبدأ الحوار الذي سيُغير مجرى الأحداث في تاريخ دولة (إيجيبتو) نهائيا.

(٢٩)

تطلع مدير المخابرات إلى رئيس دولة (إيجيبتو) وقال وهو يكتب بضع كلمات في ورقة أمامه:

. سيدي الرئيس، لدي خطة جيدة جدًا للتعامل مع تلك المُظاهرات وإخمادها إلى الأبد.

نظر إليه رئيس الجمهورية وقال متلهفًا:

. أخبرني بها إذن وسوف نقوم بتنفيذها على الفور، فتلك المظاهرات انتشرت في أنحاء البلاد، وهذا شيء مقلق جدًا.

ابتسم مدير المخابرات وهو يضع الورقة التي كتبها أمام الرئيس ويلتفت ناحيته واضعًا إصبعه أمام فمه وهو يقول:

- سوف نقوم بعمل إبادة جماعية لكل المتواجدين في ميدان النصر، ذلك الميدان الذي أصبح رمزًا للثورة.

تطلع إليه رئيس الجمهورية تطلعه إلى مجنون يهذي قبل أن يقول فزعًا:

. ماذا؟ ماذا تقول أيها المأفون؟ يبدو أنك قد جننت حقًا. أين إنسانيتك ووطنيتك يا رجل؟

كظم مدير المخابرات غيظه في صعوبة وهو يشير إلى الرئيس لكي يقرأ ما كتبه في الورقة قبل أن يتحدث، ليتطلع الرئيس إلى الورقة ليقرأها، وتظهر علامات الدهشة والذهول على وجهه. قبل أن يستطرد مدير المخابرات قائلًا:

.فكر في الأمر سيدي الرئيس. ستجد أنه لا سبيل آخر لإنهاء تلك الثورة الغبية.

التفت الرئيس برأسه في أركان حجرة المكتب وهو يتطلع إليها في حيرة قبل أن يقول:

- ولكن ألن يكون ذلك نهاية عهدنا بالسلطة وبالحياة نفسها يا رجل؟ لو أننا فعلنا ذلك فسوف يقوم الشعب كله بالخروج علينا ولن يكفيه سوى أن يُعلقنا على المشانق.

ابتسم مدير المخابرات بعدما وجد الرئيس يتجاوب معه فيما يقول، قبل أن يُكمل خُطته قائلًا:

. بالعكس يا سيدي، إننا إذا فعلنا ذلك فسوف يعلم الجميع أننا سنبطش بأي شخص يُحاول أن يخرج علينا، خصوصًا إذا تزامن مع الإبادة الجماعية القبض على عدد كبير من النُشطاء من أنحاء البلاد وإعدامهم في نفس اليوم. فإذا فعلنا ذلك فسوف تختفي أي مقاومة، وسيقبع الجميع في منازلهم، وسيرضون بأي شيء نقدمه لهم. وإلا.....

وابتسم في شدة وهو يضع أمام الرئيس ملفًا كُتب عليه من الخارج الخُطة (ألف). ليتطلع إليه الرئيس مبتسمًا قبل أن يقول:

.حسنًا. فلتترك لي الخُطة (ألف) هذه لدراستها وسوف أخبرك بالنتيجة مساء اليوم.

أشار مدير المخابرات إلى الرئيس ثم إلى حديقة القصر الجمهوري وهو يقول:

. حسنًا يا سيدي. سوف أنصرف الآن وأعود إليك مساءً لتخبرني بموافقتك بتنفيذ الخُطة (ألف).

قال ذلك وهو يتوجه إلى خارج مكتب الرئيس ويُشير إليه باتباعه إلى الحديقة الخاصة بالقصر.

وما إن اجتمعا في الحديقة بمكان صغير مُحاط بالأشجار حتى أخرج مدير المخابرات جهازًا صغيرًا يُشبه القلم وضغط على أحد أزراره ليتأكد من خُلو المكان من أي جهاز تصنت قبل أن يضع الجهاز في جيبه، ثم راح يشرح للرئيس كل حرفٍ أخبره به الرائد (حسام) القادم من المستقبل لترتسم على الرئيس ملامح الدهشة والذهول.

(٣٠)

فجأة اختفت السماء واختفى السد من حولهم واحاط بهم ظلام أسود بهيم السواد ولم تنطلق الصواريخ كما يجب أن يحدث بالرغم من الضغط على زر الإطلاق.

فوجئ الطيارون الثلاثة بما حدث لهم، وما كاد يحيط بهم ذلك السواد البهيم حتى توقفت محركات الطائرات تمامًا وانطفأت الأنوار، في حين أحس الجميع بأن الطائرات وكأنها تسبح في الفضاء بنعومة شديدة ولا تهوي لأسفل كما هو من المفترض أن يحدث عند توقف المحركات.

وانطلق صوت قائد الطائرة الأولى محاولًا الاتصال بالقاعدة وهو في فزع شديد لتلك الظلمة الحالكة التي لا يستطيع أن يرى فيها أي شيء حتى أصابعه التي وضعها أمام عينيه فلم يراها البتة.

وانطلق صوته صارخًا:

- ماذا حدث؟! ما هذا؟! سيدي، هل تسمعني، هل من أحد يسمعني؟ ما هذا بحق السماء؟

وراح يضغط على الأزرار الخاصة بالسماعة التي يضعها على رأسه ولكن لا مجيب ولا بصيص من نور، فضرب بيده الهواء من حوله وهو يصرخ ويصرخ ويتخيل ملك الموت قادمًا ناحيته وهو يبتسم في نشوة.

وفجأة مرة أخرى انقشع الظلام وعادت السماء كما كانت لتهوي الطائرات الثلاث دفعة واحدة، وقبل أن يتمكن أحدهم من السيطرة على طائرته

اصطدمت إحداها بأخرى لتنفجر بدوي شديد وتتطاير أجزائهما في السماء فتصطدم تلك الأجزاء بالطائرة الأخيرة لتنفجر كذلك بصوتٍ مدو وأشلاء الطائرات وطياريها تتهاوى رويدًا رويدًا على مساحة شاسعة من الأرض والبحر المتاخم لها.

وفي أعلى مكان من ذلك السد الكبير في جنوب دولة (إيجيبتو) وقف الرائد (حسام) وهو يتطلع إلى أشلاء الطائرات الثلاث الهاوية ويعيد جهازًا صغيرًا يشبه علبة الثقاب إلى جيبه مرة أخرى بعدما أغلقه لينظر إليه أحد الرجلين الواقفين معه وهو يقول بدهشة شديدة لم يستطع إخفاءها:

- ما هذا الذي حدث؟ كيف فعلت ذلك بتلك العلبة الصغيرة؟ وأين اختفت الطائرات أصلًا؟ كيف اختفت هكذا فجأة؟ وكيف ظهرت مرة أخرى فجأة؟

صمت الرجل وهو يزوي ما بين عينيه قبل أن يقول وهو يهز رأسه وكأنه وجد الحل لتلك المعضلة التي حدثت أمامه:

- نعم.. نعم.. لقد فهمت. أنت تتعامل مع الجن، أليس كذلك؟ لا بديل عن ذلك، فما حدث لا يمكن فعله إلا عن طريق الجان. أجبني بالله عليك.

تطلع (حسام) إليه، ثم نظر إلى زميله الآخر والذي كان لا يزال يتطلع إلى السماء حيث كانت الطائرات الثلاث وقد تجمدت أطرافه تمامًا وكأنه تحول إلى تمثالٍ من الحجر قبل أن يهزه (حسام) وقد انفجر ضاحكًا بشدة قائلًا:

- إيه!! ماذا حدث يا هذا؟ أفق بالله عليك.

قال ذلك ثم تطلع إلى الرجل الأول وقال باسمًا:

- لا يا أخي. ليس جنًا من فعلها ولست أنا بساحر. إن ما حدث أمامكما الآن هو التطور الطبيعي للتكنولوجيا. فما حدث ليس أكثر من إطلاق مجال مغناطيسي خاص يقوم بإخفاء الأشياء التي يحيط بها ويعزلها تمامًا عن العالم، ويتسبب بإظلامٍ تامٍ بداخله، كما يتسبب في توقف كل ما يمُت للتكنولوجيا بصلة عن العمل، ولذا فعندما أحاط بهم المجال الكهرومغناطيسي توقفت المحركات تمامًا وأحاط بهم ظلامٌ دامس، وعندما قمت بإزالة المجال بعد ثلاث دقائق من حول الطائرات فإذ بها تهوي إلى أسفل ويحدث لها ما رأيتموه بأنفسكم من اصطدام بسبب عدم السيطرة عليها.

نظر الرجلان إلى (حسام) في عدم تصديق، ثم تطلع الرجل الأول إلى الثاني وهو يقول:

- هذا الرجل يكذب، أقسم بأنه يتعامل مع الجان، فما حدث لا يستطيع فعله أحدٌ غيرهم. نعم إنهم أبالسة الجان كذلك ، فليرحمنا الله.

قال الرجل ذلك ثم انطلق يعدو مع زميله إلى حيث المصعد الكهربائي ليبتعدا عن ذلك المكان وكأن شياطين الجحيم كلهم تطاردهما لتفتك بهما.

(٣١)

تطلع الرائد (حسام) في وقفته العسكرية إلى قائده الذي أشار له بالجلوس مبتسمًا وهو يقول مهنئًا:

- تحيتي الخاصة لك أيها الرائد، وكذلك تحية كل مسئول في دولتنا، والتحية الأكبر من شعبنا كله والذي أنقذته من تلك المؤامرة القذرة التي كانت تُحاك ضدنا جميعًا.

صمت قليلًا قبل أن يُردف متابعًا:

- إنك لم تشاهد ما حدث في (المجلس العالمي للأمن)، لقد فوجئ الجميع بعدما طلبنا انعقاد المجلس في جلسة طارئة، بتلك التسجيلات التي أتيت بها والتي فضحت تمامًا دولة (أمريكانيتا) وحكومتها، لقد كانت تلك التسجيلات هي حبل المشنقة الذي التف حول رقاب هؤلاء الحكام المجرمين، وليس ذلك فقط، بل إن تأثير ما حدث في (أمريكانيتا) في الماضي ظهرت آثاره من الشعب على قياداته التي تسببت في فقدان الآلاف من أبنائهم في الماضي خصوصًا أن الجميع لم يعلموا بأسباب ما حدث حتى الآن، فلم تستطع القيادات المتبقية في ذلك الوقت شرح ما حدث للشعب.

وصمت مرة أخرى وهو يتطلع إلى (حسام) طويلًا قبل أن يقول:

- إن أعظم ما حدث في تلك الجلسة هو تشكيل لجنة من المجلس العالمي للأمن لمراقبة الأنشطة العلمية كافةً في (أمريكانيتا) وصدور قرارات

بمنعهم من استخدام تقنيات السفر عبر الزمن مرة أخرى وإلا فسوف يتم تدمير كل المراكز البحثية في كل المجالات وليس مجال السفر عبر الزمن فقط.

ابتلع القائد ريقه ثم أكمل قائلًا:

- هل تعلم؟ نحن نتوقع أنهم لن يتوقفوا عن أبحاثهم الزمنية، ولكنهم سيفكرون ألف مرة قبل أن يحاولوا استغلال الزمن مرة أخرى لصالحهم، وإلا فإنها ستكون النهاية الكاملة بالنسبة لهم.

ابتسم الرائد (حسام) وهو يقول بنبرة آسفة:

- إنى لم أفعل شيئًا تقريبًا يا سيدي. فلم تحدث مواجهات مباشرة أوصراعات بيني وبين (دونالد) أو(جيمس)، فلم تكن هناك حرب بيننا أصلًا، والمواجهة الوحيدة التي حدثت مع طائرات (إسرائيليتا) فقط، وحتى الآن هم لا يعلمون ما حدث لتلك الطائرات بالتأكيد.

ابتسم القائد مرة أخرى وقال متفاخرًا:

- هل تعلم أن رئيس جمهوريتنا ينتظرك اليوم مساءً لتوجيه الشكر إليك بنفسه، ولولا حساسية الجهاز الذي ننتمي إليه لكان احتفل بك الرئيس احتفالًا عالميًا.

تطلع (حسام) إلى قائده وقال في جدية:

- أتفهم ذلك تمامًا يا سيدي. وأنت تعلم أننا نؤدي واجبنا فقط والمكافأة التي ننتظرها هي نجاحنا في تنفيذ ما يوكل إلينا من مهام.

صمت (حسام) وهو يتطلع إلى القائد وعلى ملامحه ظهرت علامات القلق والتردد، مما جعل القائد يسأله قائلًا:

- ماذا هناك يا (حسام)؟ يبدو أنك تُريد شيئًا ما، ولكنك لا تستطيع طلبه، أليس كذلك؟

أجابه (حسام) وهو يهُز رأسه موافقًا:

- أجل يا سيدي. أُريد طلبًا خاصًا بالفعل، أنا أعلم أنه ليس من حقي أن أطلبه أصلًا ولكن.....

صمت مرة أخرى قبل أن يستحثه القائد قائلًا:

- فلتطلب ما تشاء، وسوف أُلبي لك ما تريد.

زفر (حسام) في شدة قبل أن يقول راجيًا:

- سيدي القائد. أريد العودة إلى كوكب الأرض في رحلة خاصة.

تطلع إليه القائد في دهشة شديدة، ثم أطرق إلى الأرض مفكرًا قليلًا قبل أن يرفع رأسه وينظر إلى (حسام) باسمًا ويقول:

- حسنًا يا (حسام). إنني أوافق ولن أسألك عن السبب. لأنني أعلم بأنك سوف تُحسن التصرف تمامًا.

هب (حسام) من مقعده واقفًا وهو يبتسم في سعادة غامرة قائلًا:

- سيدي. أشكرك جزيل الشكر بحق.

ابتسم القائد قبل أن يقول:

- ولكن لا تنس، ليس اليوم يا (حسام)، فاليوم موعد تكريمك من السيد رئيس جمهوريتنا. جمهورية (إيجيبتو).

(٣٢)

ما إن انتهى نائب الرئيس المصري من إلقاء بيان التنحي حتى لف الصمت التام ميدان التحرير قبل أن ترتفع الصرخات غير مصدقة لما سمعت ثم تنطلق الضحكات والأغاني في حب مصر.

وفي نفس مكان التجمع كان (حسام) يقف على مقربة منه وهو يتطلع إلى (هادي) وهو يعانق (هالة) ثم يحملها ويدور بها في الميدان وتتبعه (حسام) عن قرب حتى قبلها (هادي) في جبينها لتقع مغشيًا عليها. وما إن حملها (هادي) وأجلسها على الرصيف حتى بدأت تفيق وما كادت تعي ما حولها حتى وجد (هادي) من يربت على كتفه من الخلف ثم التفت وهب واقفًا في سعادة غامرة وهو يحتضن (حسام) بشدة وهو لا يكاد يصدق عينيه بالفعل قبل أن يجذبه ليجلسا بجوار (هالة) على الرصيف، وكانت قد أفاقت تمامًا وإن كان وجهها لا يزال يحمل حمرة الخجل، فحياها (حسام) في حين أمسك (هادي) يدي (حسام) وهو يقول بفرح شديد:

- لن تصدق مدى سعادتي اليوم ياصديقي، (هالة) حبيبتي معي والرئيس تنحى عن منصبه وأنت حضرت إلينا ثانية بعد اختفائك المفاجئ لأسبوعين تقريبًا وقد فقدت الأمل في رؤيتك مرة أخرى.

ابتسم (حسام) وهو ينتقل ببصره بين (هادي) و(هالة) ليرى مدى ماهم فيه من حب قبل أن يقول:

- صديقي العزيز، لم أكن أستطيع ألا أحضر إليك في هذه المناسبة بالذات، وأيضًا لكي أشرح لك الأحداث، ولكن دعنا نحتفل الآن بتلك المناسبة السعيدة وعندما نذهب إلى بيتك فسوف أشرح لك كل شيء، اتفقنا؟

ابتسم (هادي) في سعادة وهو يقف ويجذب (هالة) لتقف بجواره وقد تشابكت أيديهما في حين هب (حسام) واقفًا و(هادي) يقول:

- اتفقنا يا صديقي. دعنا الآن نذهب إلى المنصة لنستمع قليلًا إلى أصدقائنا وهم يتغنون بأغاني النصر.

وبالفعل انطلق ثلاثتهم إلى المنصة المقامة في الميدان وقد اشتعلت بالأضواء وصدحت بالغناء والجميع تظهر على وجوههم السعادة البالغة، وقد خرج الكثيرون من أبناء الشعب من منازلهم وانتشروا في الميادين والشوارع وخاصةً ميدان التحرير رمز الثورة والذي ازدحم عن آخره بالمحتفلين.

وفي الثامنة مساءً انطلق الأصدقاء الثلاثة وحدهم إلى فيلا (هادي)، وعندما أصبحوا أمامها توقف (حسام) وهو يشير على (هادي) و(هالة) بالوقوف قبل أن يقول موجهًا حديثه إلى (هادي) باسمًا:

- صديقي العزيز. لن أدخل معكم الآن، وأرجو ألا تخبر أحدًا بجودي أصلًا.

تطلع إليه (هادي) و(هالة) بدهشة شديدة قبل أن يقول (هادي) متسائلًا:

- لماذا يا صديقي؟ ثم أين ستذهب؟ ألم نتفق على قضاء الليلة والغد سويًا؟

اتسعت ابتسامة (حسام) وهو يقول:

- بالطبع يا صديقي، إنى سأدخل الفيلا ولكن بعدكما بعدة دقائق فقط.

زوى (هادي) ما بين عينيه دهشة في حين تطلعت (هالة) إليه في حيرة قبل أن يقول (هادي):

- ولماذا يا صديقي؟ ماذا ستفعل؟

فقال (حسام) باسمًا:

- ستعرف كل شيء في حينه.

ثم صمت قليلًا قبل أن يستطرد قائلًا:

- ورجاءً خاصًا، لا أحد يفتح الباب سوى (لميس).

صمت (هادي) تمامًا وهو يتطلع في عيني (حسام) طويلًا، قبل أن يهز رأسه قائلًا:

- حسنًا يا صديقي، لن يفتح الباب سوى (لميس).

وانطلق مع (هالة) إلى الداخل و(هالة) تبتسم في سعادة، فيبدو أن (حسام) قد وقع في غرام (لميس) كما وقعت هي في غرام (هادي).

ودلفا سويًا إلى داخل الفيلا وأغلق (هادي) الباب الداخلي خلفه وبعدما ألقى التحية على الجميع، ورحبوا جميعًا بـ (هالة)، إذ بجرس الباب يدق، فتطلع (هادي) إلى أخته قائلًا:

- أرجوك يا (لميس) أن تفتحي الباب فإنا لا أستطيع التحرك من كثرة التعب.

تطلعت إليه (لميس) وقالت باسمة:

- سأفتح الباب، ولكن ليس لأنك متعب، ولكن لوجود (هالة) معنا.

واتجهت إلى الباب وما كادت تفتحه حتى تسمرت في مكانها كالتمثال وهي تنظر في عيني (حسام) وكادت أن تهوي أرضًا من فرط المفاجأة ليسرع (حسام) بمساعدتها على حفظ توازنها وهو يبتسم في سعادة ليتخضب وجهها احمرارًا وهي تغلق الباب خلفه فيقول موجهًا حديثه إلى والد (هادي) معتذرًا:

- آسف جدًا على حضوري من غير موعد سابق ولكنني.....

قاطعه والد (هادي) بإشارة من يده وهو يقول باسمًا:

- لا تقُل ذلك يا ولدي، هذا بيتك فلتأت وقتما تشاء.

قال ذلك وهو يتطلع إلى (لميس) باسمًا.

(٣٣)

اجتمع كل من (هادي) و(حسام) ومعهما (هالة) و(لميس) في حجرة المكتب الخاصة بوالد (هادي) بناءً علي طلب (حسام) وما إن أُغلق الباب عليهم حتى قال (حسام) موجهًا حديثه إلى (هادي):

- صديقي العزيز، لقد حضرت كما وعدتك تمامًا وذلك لسببين.

صمت قليلًا قبل أن يستطرد قائلًا وهو يتطلع إلى (لميس) في حب:

- السبب الأول هو قلبي. ولا تؤاخذني يا(هادي)، لقد أحببت (لميس) من كل قلبي ولأول مرة في حياتي أقع في الحب.

تطلع إلي عيني (لميس) التي كانت تتعلق بيد (هالة) وتضغط عليها بشدة وهي تبتسم في سعادة، ليتوجه بنظراته إلى (هادي) ثانيةً قبل أن يقول:

- وأما السبب الثاني فهو كشف غموض ظهوري واختفائي الغريب.

حملت ملامح (هادي) ابتسامة هادئة وتطلع إلى أخته التي جلست في حياء وما زالت تتشبث بيدي (هالة) ثم تطلع إلى (حسام) وقال في مرح:

- أما عن السبب الأول لعودتك فلا دخل لي به. ولكني أريد أن أعرف الأسباب التي حملتك على الرحيل المفاجئ كما فعلت.

تجهمت ملامح (حسام) في شدة وهب واقفًا من مقعده وراح يدور في حجرة المكتب في توتر واضح قبل أن يقف في مواجهتهم وقال وهو يتحدث بلهجة حاول أن يجعلها تبدو هادئة بالرغم من التوتر الواضح في حديثه:

- اسمحوا لي أن أعرفكم بنفسي. أنا الرائد (حسام نور الدين) ضابط مخابرات في.....

وصمت لحظة واحدة قبل أن يكمل قائلًا:

- أنا من دولة (إيجيبتو) في كوكب (إيثار) على مسافة ألفي سنة ضوئية من هنا.

وما إن انتهى من حديثه حتى تطلع إليه الجميع وقد علت وجوههم دهشة شديدة غير مستوعبين لما قال.

القاهرة

٣٠ ديسمبر ٢٠١٦